FKZ - 23

نسيان: جار التحميل..

رواية

ماضٍ ولن يعود..

محمد حسن عطعوط

إهداء

إلى اللحظات التي جعلتني قويًا، وجعلتني رجلًا،

وإليه، وإليها، وإليك.

ولكل كاتب يحاول إيصال هدى أو جمال رسالة.

نبذة عن المؤلف

مؤلف هذا الكتاب هو (محمد حسن عطعوط)، شاب من مواليد ربيع عام 1999، درس وتخرج من كلية دار العلوم في جامعة القاهرة، حاصل على ليسانس في علوم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، يعمل معلمًا وقد كتب عدة روايات ولكن التي نشرها منها هي رواية (ديجافو)، وهي رواية (دراما - خيال علمي)، ويبدو أنها أعجبت أغلب من قرؤوها، وتعتبر (FKz-23) هي ثاني رواية منشورة له.

كتابه الثاني بعد (ديجافو) كان (ERROR 404 - mind not found!) وهو كتاب أدب ساخر، وكانت أغلب الآراء فيه كذلك إيجابية جدًا بحمد **الله.**

نبذة عن الكتاب

رواية بين الدراما والرومانسية والخيال العلمي، شخصياتها وأحداثها أغلبها من وحي الخيال، وأي تشابه في الأسماء إنما هو محض صدفة لا أكثر، وما تم استلهامه من الأحداث الواقعية قام المؤلف بتغييره بحيث ما عاد يطابق ما كان على أرض الواقع، أما غير ذلك فمن وحي خيال المؤلف بالكامل.

ليست تلك من الروايات الرومانسية التي تجعل البطل والبطلة يسيران وسط هتاف الجماهير في آخر القصة والجميع يلقي الورد عليهما و(عاشا في تبات ونبات)، ولابد أن ينتصر البطل ويحرم غير ذلك، لماذا؟ لأن ذلك ببساطة ليس ما حدث، وأنا لن أكذب عليك عزيزي القارئ. أراك على الجانب الآخر.

"لم أستطع النسيان..".

كانت تلك إحدى الكلمات التي قالها لي

(محمد مروان الحي) ولن أستطيع أنا نسيانها أبدًا..

(1)

انطلق سرير المستشفى مسرعا وسط الرواق تدفعه ممرضة كبيرة الجسم عليه صديقي (محمد مروان الحي). كانت الأصوات عالية والضوضاء شديدة، لا أعرف السبب ولكن الوضع كان متوترا. شق السرير طريقه بين الممرضات والزوار بينما يحاول صديقي فتح عينيه بصعوبة وببطئ وهو ملقى على السرير كالجثة، ويرى أنوار السقف تمر أمامه مسرعة كلحظات من حياته. لم يبد وجهه الجميل المشرق الشبابي كما كان، انقلبت عيناه السوداوان الواسعتان اللتان تبدوان وكأنهما مكحلتان إلى عينين تبدوان كعيني ميت! وجهه الصافي أفسدته الهالات السوداء تحت عينيه، وفمه الجميل الصغير كان.. يسيل منه اللعاب على وجهه، بدا صديقي غير الذي كانه وغير الحياة التي كان عليها، إذ بدا كالميت الحي على ذلك السرير اللعين. تحرك لسانه ببطئ وهو يحاول أن يردد اسمها.

- فـ.. فر.. فريـ..

قبل أن يغلبه التعب ويفقد وعيه من جديد.

***

اعذرني على تسرعي.. دعنا لا نستبق الأحداث، ولنعد إلى اليوم الذي بدأ فيه كل هذا.

في جامعة القاهرة في يوم مشرق وفي منتصف النهار، في كلية (***)، هتف الدكتور الجامعي يرج المدرج متوسط الحجم بصوته الذي ضاعفته السماعات الست التي تملأ المدرج وهو يتكلم بثقة أمام ثلاثمائة طالب تقريبا:

- واللي مش مذاكر للميد ترم ده.. يقول على نفسه يا رحمن يا رحيم، اللهم بلغت.

صدرت بعض الضحكات من بعض الطلاب، بينما لم يبد عليها أنها على وشك الضحك إطلاقا، بل بدا على عينيها الواسعتين القلق العارم، بل ابتلعت ريقها وهي تتخيل نفسها وقد رسبت في هذه المادة.

***

حل المساء على الكومباوند الرائع حيث.. حيث كل شيء في الحقيقة، حيث حياة أخرى، عكس كل ما نعيش فيه أنا وأنت، مساحات خضراء لا نهاية لها وشوارع لا وجود لقطعة قمامة واحدة فيها، على عكس شوارعنا التي تكونت من القمامة، هنا في هذه الجنة حيث تعيش (فريدة الطوخي).

غرفة جميلة ضخمة فاخرة تملأها الروائح العطرة ومستحضرات التجميل باهظة الثمن التي قلما تفتحها، جلست بها فريدة وفي أذنيها سماعتان تسمع بهما أغنية على هاتفها بينما تقلب في كتاب المادة التي كان يتكلم عنها المعلم وعلى وجهها نظرة قرف ويأس.

" وبقلبي غنتلك.. آه، وفي دروبك مشيت..".

وقفت أمها على الباب تنادي:

- فريدة.

"أنا لسه عايش ليك.. وقـ..".

- يا فريدة!

خلعت السماعات متفاجئة وردت على أمها الواقفة عند باب الغرفة:

- إيه يا ماما؟

- يلا عشان الغدا.

- حاضر.

زفرت بضيق قبل أن تلقي بالكتاب الضخم على الأرض بحزن مدركة أنها لن تفهم منه حرفًا واحدًا، كأنه مكتوب بلغة أخرى!

دخلت على مجموعة الدفعة على الفيس بوك وكتبت:

"يا جماعة أنا مش فاهمة حاجة خالص في أم المادة دي بجد زهقت، وشكلي كده هشيلها.. حد يفيدني بالله عليكم".

***

شارع صغير قذر متسخ به عدد كبير من المحلات يلعب أمامها أولاد متسخون بالكرة، وبه بعض الباعة الجائلين الذين لم يعودوا لبيوتهم بعد، ويبدو أنهم لم يحصلوا على ما يكفي لشراء العشاء لأولادهم،

ينادون على بضاعتهم بيأس كالمستغيث، في الشارع عمارة صغيرة ضيقة المدخل، احتوى المدخل على بعض القمامة أسفل درجه الذي يقودك على سلالمه المكسرة إلى الطابق الأول، ثم.. احترس من تلك السلمة المكسورة رجاء! أريدك أن تظل سليما معي حتى نهاية القصة، ها هو الطابق الثاني، لن نرن الجرس، سندخل مباشرة، انظر إلى تلك الشقة الصغيرة البسيطة، لكنها مرتبة بشكل معقول صحيح؟ إذا نظرت إلى يسارك قليلا ستجد غرفة النوم الرئيسية الخاصة بالأم والأب، في الحقيقة كل من بها الآن هي الأم (هويدا)، لأن زوجها قد رحل منذ سنين طويلة وسافر إلى بلد أخرى بعد أن انفصل عنها، وعندما تأتي معي إلى تلك الطرقة الصغيرة على يمينك سترى الحمام والمطبخ، وسترى على يسارك هذه الغرفة الصغيرة التي سترى السرير بها على يمينك وعلى يسارك دولاب ملابس خشبي قديم، وستجد على ذلك السرير شاب عشريني ذو وجه كبير وشارب خفيف ولحية صغيرة سوداء، وشعر أسود لامع، وعينين كبيرتين ثاقبتين، وبدا كأن حولهما كحل أسود خفيف، وفم صغير. جلس ممسكا بهاتفه الصغير يكتب تعليقا على أحد المنشورات على الإنترنت:

"على فكرة والله المادة سهلة جدا، مش عارف عاملالكم كلكم أزمة ليه، هي عايزة تركيز بس".

بعد دقيقتين كان الرد:

"السلام عليكم، ممكن لو سمحت تساعدني في المادة دي بقدر المستطاع؟ عشان فعلا والله شكلي هسقط فيها لو فضلت كده، مش فاهمة ولا حرف من الكتب الغبية دي، كإن بيصعبوها علينا، وشكرا مقدما..".

وكانت رسالتها على رسائله الخاصة.

بدأ محمد يشرح لها ما يفهمه عن المادة عن طريق تسجيلات صوتية ويحاول تبسيط المبدأ الأساسي حتى لها، إذ لاحظ أن تلك الفتاة جاهلة تماما بكل ما يتعلق بتلك المادة، حتى أنها لا تعرف أصلا عن أي شيء تتحدث.

- هههههههه، يا بنتي مش المقصود بيها كده خالص، معناها زي ما شرحتلك في الريكورد الأخير ده.

- أووووف.. أنا زهقت، صعبة جدا، انت رايح الجامعة بكرا؟

- آه بإذن الله هروح على الظهر كده.

- طيب بص.. عارفة انه طلب غلس شوية وهيكون وراك حاجات بس ممكن تقعد معايا بكرا تشرحلي حتى الأساسيات وأنا هحاول أكمل؟ نص ساعة حتى ولا ساعة..

فكر قليلا ثم رد:

- ماشي يا ستي، بعد الظهر بإذن الله هرن عليكي هكون عند الكلية.

- ماشي تمام رن على الرقم ده (*****).

***

حلم في تلك الليلة أنه في غابة كبيرة، نظر فوقه مغطيا عينيه بيده إذ كانت الشمس حارقة تكاد تأكل الشجر. نظر إلى شجرة كبيرة مجاورة

ووجد عليها قردا صغيرا، قردا ينبغي أن يبدو لطيفا لكن.. وجهه كان مرعبا.. عيناه واسعتان تنظران بهلع إلى محمد، وأذناه ترتعشان بشدة، بينما غطى جسده بعض العفن. ظل محمد يقترب من الشجرة محاذرا بينما بدأت الشجرة تغوص في الأرض، حتى صار يرى وجه القرد بوضوح، حينها بدأ الدم يسيل من عيني القرد وهي يحرك رأسه يمينا ويسارا محذرا من شيء ما.

***

في اليوم التالي شديد الحر سار الطلاب في الجامعة مسرعين إلى محاضراتهم بينما جلست هي في تلك الكافيتيريا الصاخبة عند طاولة صغيرة وضعت عليها حقيبتها التي تزيد قيمتها عن هاتفي وملابسي وحياتي كلها، وكانت تلك من أقل حقائبها. كان أمامها على الطاولة مشروب مانجو قد شربت نصفه، حين رأته قادمًا من بعيد وعلى وجهه ابتسامة عذبة ترد الروح في الموتى.

- ازيك!

قالها وهو يمد يده ليسلم عليها، ردت باختصار:

- أهلا.

جلس أمامها وقال:

- هتفطري؟

- لا لا واكلة تسلم..

- طيب لحظة أجيب أنا حاجة أفطر بيها.

قام مسرعا إلى عربة الطعام الكبيرة الواقفة بجانب الكافيتيريا ليشتري بعض السندويشات بينما نظرت إليه من وراءه نظرة فيها احتقار، ربما لا يلاحظها أي أحد، لكنها واضحة إن كنت تفهم الناس جيدا.

عاد ووضع السندويشات أمامه على الطاولة ثم جلس وقال وهو يفتح الكيس:

- إيه بقى يا ستي اللي مش فاهماه؟

نظرت إليه وهو يدس السندويش في فمه وقالت:

- امم.. كله.

ضحك والطعام في فمه قائلا:

- كله؟ واللي شرحتهولك امبارح؟

ظلت تنظر إليه بقرف وهو يأكل نصف السندويش في قضمة واحدة وقالت:

- معاك الكتاب؟

قال وقد أكل الطعام نصف كلامه:

- آه معايا الكتب كلها بتاعت المادة أهي.

فتح شنطته فبدأت تتلوث من السوائل التي كانت على يده من السندويش وكادت تشعر بالغثيان، حتى أخرج منديلا من جيبه ومسح يده ثم أخرج الكتاب ووضعه على الطاولة قائلًا:

- بصي يا ستي، أنا عامل علامات على الحاجات المهمة فيها، بصي، الـ(Highlight) ده.

- آها..

- أنا أصلا بحب المادة دي جدا، سهلة للي يركز فيها ويفهمها صح.

- تمام..

- لحظة بس أخلص أكل ونبدأ.

أسند ظهره على الكرسي فلاحظت أنه ربما يبدأ حديثًا معها فأخرجت هاتفها مسرعة وقالت:

- معلش هعمل مكالمة بس وهرجعلك تكون خلصت أكل.

رد بفم ممتلئ بالطعام:

- ماشي متتأخريش.

***

وقفت على بعد عشرة امتار من الكافيتيريا ممسكة بهاتفها تقول:

- مقرف، والله يبنتي كائن مقرف! مفيش إتيكيت ولا زفت، هما الفقراء الزبالة اللي هنا دول كده، والله، يعني على الجروب باين لطيف وبتاع فعجبني شخصيته، بس طلع في الآخر زي بقية الزبالة الفلاحين اللي معانا، إيه؟ مش هقعد معاه لا، مليش دعوة يضيع محاضراته ولا ميضيعش، يتكلم والأكل في بوقه ويمسح في شنطته وقرف، لا هقوله يـ..

- يلا ولا إيه؟

التفتت فوجدته بجانبها فشهقت قائلة:

- خضتني!

ابتسم ابتسامة عذبة وقال:

- يلا أنا خلصت أكل.

تنهدت وقالت:

- بقولك إيه، هو جالي مشوار مهم، معرفش ينفع تعمل لي ملخص ولا إيه، عشان بقية الأسبوع ده مش فاضية وغالبا مش هاجي الجامعة، فممكن تعملي ملف Pdf كده ولا حاجة فيه الملخص؟

سكت قليلا يفكر ثم رد بحزن:

- صعب يا فريدة.. شغل كتير، هنا كنت هشرح اللي عارفه والأمور سهلة وخلاص.

- ما معلش والله مش هينفع، اللي كنت هتقوله اكتبه عادي.

ضغط على شفتيه وسكت مفكرا فأسرعت قائلة:

- وهديك اللي انت عاوزه متخافش.

حينها توقف عن التفكير واتسعت عيناه وظهر عليه ضيق عظيم، ونظر إليها صارخًا فيها:

- انتي يبنتي شايفانا شغالين عندك ولا إيه!

صرخت وهي مصعوقة:

- نعم! احترم نفسك لو سمحت!

- عمالة تتكلمي عليا من الصبح وتبصيلي بقرف وخرا على دماغك وماسك نفسي وعامل نفسي مش واخد بالي عشان عارف عقلية الأغنيا اللي زيك المريضة ومستحمل! ودلوقتي فاكراني شغال عندك بالأجرة! أنا كنت هساعدك عشان متسقطيش يا فاشلة مش عشان سواد عيون أهلك! غوري في داهية!

ثم ابتعد موليا إياها ظهره وقد وقفت في ذهول تام كالتي رأت البرق لأول مرة وهو يصرخ بينما يسحب حقيبته من على الكرسي والناس تهدؤه:

- أشكال وسخة صحيح عندهم نقص فاكرينا خدامين أبوهم!

بدأ عامل الكافيتيريا يكبحه بينما توقف والتف ناحيتها وهي تقف بلا حراك وقال بصوت منخفض عن صراخه:

- عشان كده محدش بيطيقك يا فريدة يا طوخي، وعمرك ما هيبقى ليكي اصحاب يطيقوا تناكتك دي وقرفك، ولا حد هيحبك بشخصيتك الزبالة دي وغرورك عشان معاكم شوية فلوس، عمر ما حد هيحبك..

ثم أضاف بسخرية زائدة:

- يا فريدة هانم.

ثم التفت راحلًا بينما صدر صوت من هاتفها الذي كاد يسقط من يدها وهي تقف كالتي أصابها شلل، صوت أنثوي يقول:

- أوف.. ده طلع فعلا عربجي خالص..

من ضيقه رحل وقد كاد يبكي. لن يحضر بقية محاضرات اليوم بعد أن جاء اليوم متحمسا. كان هذا ما ينقصه، فتاة فاحشة الثراء لتسخر من فقره. هو يشعر بالعار من مستواه بدون أن يتدخل أحد، ولكن أن تلقي بالملح على الجرح أو بالسخرية على النقص فذلك كثير.

***

اشتهرت فريدة الطوخي بأنها أغنى فتاة في الكلية وأهلها لديهم مراكز عليا لا بأس بها البتة، جعل ذلك كثيرا من الطلبة يبتعدون عنها خوفا، وجعل بعضهم يتقربون منها أملا في أي مصلحة قد يسببها القرب منها، منهم حبيبها السابق، ومنهم صديقتها (علياء)، التي لا تدرك فريدة أنها لا تعرفها لأي سبب غير مركزها ومالها.

في المنطقة الشعبية وقف محمد في غرفته يرتب شعره متوسط الطول أمام المرآة وقد غسله والسماعات في أذنه خرج منها صوت فتاة تقول:

- ووالدك شغال إيه بقى يا محمد؟

سكت قليلا ثم قال بصوت متردد:

- في شركة بـ.. بترول..

- واو!

ابتسم فرحا عندما وجد رد فعلها قبل أن تسأله:

- ابعتلي صورتك صحيح.

دخلت عليه والدته قاطعة عليه محاولة مواعدته المائة البائسة.

- إيه يا أمي؟

وضعت صينية على الكومود المجاور لباب غرفته وهي تقول:

- نزِّل الصنية دي لأم مدحت.

رد وهو يغطي مايكروفون سماعته:

- حاضر لحظة بس.

استدارت والدته عائدة إلى غرفتها متكئة على عكازها الذي يعوضها عن قدمها التي فقدتها منذ عشر سنوات تقريبا بسبب السرطان الذي نما فيها وطلب بتر قدمها مقابل رحيله.

نزل على السلالم مسرعا ليعطي الصينية إلى جارتهم ثم يعود إلى الفتاة التي التقاها اليوم على تطبيق المواعدة البائس ذاك.

هتف صوت فتاة رقيق قائلة:

- مين؟!

- أنا محمد اللي فوقيكم.

كانت التي فتحت له الباب ابنة جارتهم، (مروة). ابتسم قائلًا:

- ازيك يا مروة.

ردت بابتسامة أوسع من ابتسامته وقالت:

- ازيك يا محمد..

مد الصينية ناحيتها قائلا:

- الصنية بتاعتكم.

أخذتها منه وعيناها ما زالتا عليه وهي تقول:

- إيه أخبارك؟

- الحمد لله.

ثم قال وهو يسرع على الدرج صاعدا:

- يلا سلام بقى عشان مستعجل بعمل حاجة.

صعد إلى الطابق الثاني بينما عيناها لا تزالان عليه ثم تنهدت بحزن بعد أن اختفى وأغلقت الباب ودخلت.

***

في غرفة فريدة الفارهة في الكومباوند جلست على الأرض مستندة إلى سريرها وعلى عينيها الجميلتين دموع لم تسقط خشية الارتفاع، أو الانكسار..

مسحت دموعها بيدها وباليد الأخرى كانت تكتب في خانة البحث:

"كيف تحصل على أصدقاء".

وهي تتذكر كلامه وكم أنه –بقدر ما لا تريد تصديق ذلك- كان حقيقيًّا..

لن يحبها أحد وهي تتصرف هكذا، لكنها لم تتعلم قط ولم تعتد على غير ذلك، وصحيح أنها لم تشعر يوما بحب صادق من قبل، حتى أهلها إنما أعطوها مالًا ولم يعطوها حبًّا ولا حنانًا، ولا قدرًا مقبولًا من الاهتمام، والشاب الذي عرفته يوما إنما أرادها ليتباهى أمام زملائه، وهي صدقته.. لا تعرف أصلا إن كانت تستحق الحب أم لا!

" عمر ما حد هيحبك يا فريدة.. عمر ما حد هيـ..".

ظلت الكلمات تتردد في عقلها وتبعث الدموع على النزول من عينيها قبل أن يبدأ مقطع الفيديو مع فتاة باسمة جميلة تقول:

" طبعا كلنا عاوزين نحب ونتحب والناس يحبوا يقربوا مننا وكده، وأكيد محدش بيحب يكون وحيد.. مع الاعتذار لأي حد اسمه وحيد هههههه، المهم عشان مطولش عليكم، في عشر حاجات لازم تعملهم لو بتحاول تكون محبوب، أولهم..".

بدأت تشاهد المقطع وهي تمسح عينيها البنيتين الواسعتين بينما بدأت ابتسامة خفيفة تجد طريقها إلى شفتيها.

"رقم خمسة انك تبحث عن حد تكون صديق له، مش حد يكون صديق لك، يعني إيه الكلام الغريب ده يا هالة؟ يعني يا سيدي متخليش الموضوع عنك انت، شوف حد تبقاله انت الصاحب اللي نفسك فيه، يعني اعمل معاه اللي حابب يتعمل معاك من الآخر، الحاجات اللي نفسك تلاقيها في حد ويعملها معاك اعملها انت مع الشخص ده وكن له الصاحب المثالي ده، بس كده، وهتلاقيه انبسط بوجودك مع الوقت وهيبقالك الصديق الكويس اللي نفسك فيه من غير ما انت تبين ده ولا تطلبه وانت كنت له صديق جيد وبس، لو هو شخصية سوية طبعا، في ناس مش بترد الخير بخير، ودور على الناس اللي على طبيعتها مش اللـ..".

لفت الكلام نظرها جدا، لم تنظر إلى تلك الأمور بهذا الشكل من قبل، خاصة وأن أهلها ينظرون إلى كل شيء بشكل مادي بحت، حتى العلاقات.

أنهت المقطع وفتحت مجموعة دفعتها وبدأت تنظر أي الفتيات تريد أن تصاحب، لتحاول الوصول إلى طريقة لذلك.

- فوفا.

التفتت ووجدت أمها عند باب الغرفة.

- إيه يا ماما؟

ردت بوجه جاد:

- بابا عاوزك.

ردت فريدة وهي تمسح دموعها:

- حاضر.

وانتبهت أن أمها لم تسألها أصلا عن دموعها وبكائها الواضح على وجهها.

***

في تلك الأحيان كان فريق المتخصيين في معمل (***) قد انتهوا من تصميم اختراعهم الذي سيهز العالم كله، الجهاز الذي.. سيغير حياة الجميع، وخاصة الشباب. جهاز احتاجه العالم منذ مئات السنين، بل آلاف السنين، واحتاجه تقريبا كل البشر.

"عامل مخازن – فرد حراسة – كاشير في..".

بدأ يبحث في ذلك الموقع عن وظيفة مناسبة له بعدما خذله كل من كلمهم ولم يجد أحد عملا مناسبًا له خاصة لأنه لا يزال يدرس، وكل زملاؤه الذين سألهم عن عمل أخبروه أن يخبرهم عندما يجد لأنهم كذلك يبحثون عن عمل.

أراد بكل شكل الحصول على وظيفة، ليس فقط بسبب وضعهم المادي المزري ولأن معارف أمه يقرضونها المال كل شهر تقريبا لتستطيع قضاء حاجيات البيت الأساسية، بل أيضا لأنه يخبر كل فتاة يعرفها الآن أنه ميسور الحال، منهم التي تعرف عليها للتو التي أخبرها أنه يعمل في شركة كبيرة. ليس من عادته الكذب ولكن كثرة تقييمه بناء على ما يملك دفعه لذلك، وصار يفكر ماذا سيفعل إذا أراد الارتباط وهو في سنته الجامعية الأخيرة، ليس لديه مال لخاتم من فضة حتى، فضلا عن الشقة وغير ذلك. أراد أن يضع نهاية لذلك، خصوصا وأنه.. يائس ليقع في الحب.

***

كان الوالد يجلس على كرسيه الكبير الذهبي الشبيه بالعرش بجسده الضخم ووجهه الكبير الملئ بالتجاعيد والقسوة أمام التلفاز بينما دخلت ابنته عليه فقال بدون أن ينظر إليها:

- امتحانك قرب يا فريدة.

ردت بخوف:

- اه.. كمان عشر أيام.. الميد ترم.

نظر إليها وقال بحزم:

- وهنضطر ندفع فلوس زي كل مرة ولا بدأنا نذاكر ونشوف مستقبلنا شوية؟

- لا مذاكرة الحمد لله..

- جاهزة للامتحان يعني؟

- اممم.. مش أوي.. في حاجات لسه مش عارفاها هذاكرها مع صحابي بكرا في الجامعة..

نظر لها بلا مبالاة وغير تصديق قائلا:

- صحابك مين اللي بيذاكروا وهيشرحولك دول؟

- في واحد شاطر اتعرفت عليه امبارح وقالي هيشرحلي النقط اللي واقفة قدامي..

ضحكت الأم وهي تجلس بجانب الأب وقالت:

- إيه ده انتي في نقط عارفاها؟

ضحك الأب ثم نظر لفريدة بوجه خال من المشاعر قائلا:

- يلا ربنا يعينك، شدي حيلك وعايزين درجات حلوة، مرة من نفسك.

أشارت بوجهها موافقة ثم اتجهت إلى غرفتها وبمجرد أن أغلقت باب غرفتها حتى ارتمت على سريرها وبدأ البكاء والانهيار.

كان والدها قاسيا منذ كان ولدًا صغيرًا فلنكن متفقين على ذلك، حسنا؟ ولكن قسوته اشتدت بعد نجاحه المادي الشديد، وتشتد من حين لآخر على أشخاص محددين، مثل فريدة! التي اشتدت قسوته عليها منذ رفضت فكرة الارتباط بابن صديقه (وائل *** المليجي)، العلاقة التي أراد كلا الأبوين تحقيقها، حتى الشاب، لأنه مثل أبيه في كل شيء، ولا يخالف له أمرًا، وكانت العلاقة مثالية لهما، ليس لأن فريدة ووائل يعرفان بعضهما فهما لم يقابللا بعضا قط! ولكن لأن هناك أسبابا مادية قطعتها فريدة عليهم بالرفض، لأنها لا تريد الزواج لمجرد أن أحدا يريد منها الزواج بشخص ما.

***

غرفة صغيرة مرتبة تملأها الحيوانات المحشوة تخرج منها شرفة ضيقة مغطاة بالبلاط في الطابق الأول في عمارة محمد، تطل الشرفة على الشارع حيث يلعب الأطفال بالكرة والسباب يتناقل بينهم كأنفاسهم ككل مساء بينما تراقبهم مروة باستمتاع وبراءة على وجهها الملائكي الذي ملأته ابتسامة جميلة.

- ما تباصي ياض يا أناااني!! والله مانا لاعب يا عم دا إيه الـ****..

ضحكت ثم كادت تدخل غرفتها لولا أنها رأته يخرج من العمارة ذاهبا لمكان ما. لم تفارقه عيناها وهي تتمنى.. تتمنى فقط لو يعلم ما تشعر به ناحيته.. وأن يعرف أنها لا تزال تحبه منذ سنين طويلة..

***

بعد أن مدد جسده على سريره وهو ممسك بهاتفه ليرتاح قليلا غط في النوم.

غابة واسعة، آلاف الأشجار، والشجرة الكبيرة التي يقف أمامها تحترق، عليها نفس القرد القبيح، لكنه هذه المرة يصرخ! ويقفز! ويشير بيديه مستغيثًا، والشجرة تحترق من تحته والنار تكاد تصل إليه لتأكله.

حينها قفز القرد من على الشجرة، تحرك محمد مسرعا ليلتقطه قبل أن يموت!

- قوم يا حبيبي عاوزاك تجبلي حاجات.

أيقظه صوت أمه التي رأت الرعب على عينيه بمجرد أن فتحها. سألته ما به فأخبرها عن أحلامه الفظيعة، نصحته بالطبع أن يحافظ على أذكاره وصلواته، لأنه يبدو أن الشياطين قد اتخذته ألعوبة مؤخرا.

- تمن براميلي.

ذهب الرجل ليزن الجبن بينما وقف محمد في المتجر يتذكر طلبات والدته ثم رن هاتفه برسالة ما، أخرج هاتفه من جيبه وبدأ يقرأها.

"أهلا.. أولا أنا آسفة جدا على اللي حصل في الجامعة وأنا فعلا كنت قليلة الذوق جدا ومكانش ليا حق في أي حاجة أنا عملتها معاك، انت كنت صح، ووالله والله ما قصدت اقلل منك أو انك قليل أنا غلطانة، فبعتذر لحضرتك وأرجو تعذرني، وانا كنت فعلا محتاجة حد يشرحلي لأني كنت هسقط في المادة، ودلوقتي بعد ما قليت أدبي عليك كده أكيد هسقط فيها خلاص مفيش أمل، عشان مفيش حد أصلا عبرني ولا

عاوز يساعدني، غالبا عشان زي ما انت قلت محدش عايز يتعامل مع واحدة زيي، وانت الوحيد اللي حبيت تساعدني بدون مقابل وانا عملت معاك كده، يلا مش مهم، المهم تكون سامحتني عشان فعلا متدايقة من نفسي على اللي عملته معاك وانت مستحقتش ده مني خالص، وشكرا ليك جدا يا محمد على كل حاجة".

توترت مشاعره وتداخلت حتى أنه لم يسمع البائع يكرر للمرة الثالثة:

- يا أستاذ! اتفضل يا أستاذ الحاجة بتاعتك!

دفع ثمنها وذهب شاردا يفكر، بينما جلس البائع مع زميله يسبان المخدرات والذي تفعله بالشباب.

رأته مروة وهو عائد وكانت قد تعمدت الوقوف في الشرفة حتى رؤيته وهو عائد، قررت الخروج والكلام معه أمام شقتهم ومحاولة التقرب منه والتلميح له ولو قليلا وإعادة الصداقة بينهما.

فتحت باب الشقة بدون أن تسمعها أمها من المطبخ، ووقفت تنتظره حتى سمعت خطواته على السلم يصعد مسرعًا.

- محمد!

توقف منتبها وقال:

- إيه يا مروة؟

- عاوزة أكلمك في حاجة معلش.

- حاجة مهمة يعني ولا إيه؟ عشان في حاجة عاوز أعملها الوقتي على طووووول مستعجل.

سكتت وابتلعت ريقها ثم قالت بخجل:

- لا لا خلاص مش مهم، بعدين..

- تمام.

ثم انطلق وهي تدخل وتغلق الباب وعليها حزن عميق. هتف صوت والدتها من الداخل:

- مين يا مروة؟

ردت بحزن:

- مفيش يا أمي.. فكرت حد بيخبط..

***

"طيب يا ستي، أنا بس دايقني جدا ان فعلا عملتي معايا زي ما كانوا بيحكوا عليكي لأني كذا مرة يتكلم ناس عنك قدامي وأدافع عنك ويا جماعة تلاقيها طيبة وبتاع، وبعدين تشوفيني كالعادة (فلاح وفقير) زي ما شايفة بقية الناس وجو الاستحقار ده والواحد مش ناقص، فعلا حاجة مستفزة جدا".

أجاب بذلك وهو لا يدري أفعل الصواب أم لا. لا يدري ماذا يفعل، اندهش من تلقائيتها واعتذارها، لم يكن ذلك متوقعا من تلك

المتغطرسة! بل توقع أن تكرهه وتلعنه في سرها كلما مرت من أمامه قبل أن يسخر منها هو وأصدقاؤه، وفي هذه المرة لن يدافع عنها.

- والله أنا بجد بجد آسفة.. مش عارفة أقولك إيه بجد..

- خلاص عموما سامحتك عادي انتي اعتذرتي.

سكتت لقليل من الوقت ثم كتبت:

- هو كله بيكرهني فعلا زي ما انت قلت؟

- آه، كله، ولاد وبنات.

تكونت الدموع في عينيها وهي تكتب:

- طب ليه؟

- بيقولوا أتنك واحدة في الدفعة وبتاع ومستحقرة الدنيا كلها وكل مرة تتعاملي مع حد تتعاملي معاهم بقرف وبتقللي منهم كلهم في كلامك معاهم، متوقعة إيه؟ يحدفوا عليكي ورد؟

لم يجد ردا لأنها كانت قد بدأت تبكي. حاولت مسح دموعها لتستطيع الكتابة ولكن لم تستطع بينما أرسل هو:

- مش طريقة عيشة دي يا فريدة، هتعمل لك إيه تناكتك وقرفك من الناس وانتي وحيدة؟

بدأت تبكي بصوت ثم سجلت إذ لم تستطع الكتابة:

- خلاص.. خلاص لو سمحت كفاية.

وأرسلته إليه. صوت بكائها شق قلبه نصفين وهو يسمعه.

- متعيطيش يا ستي، أنا ممكن أساعدك تتصرفي ازاي شوية.. احنا ممكن نبقى اصحاب أنا معنديش مانع يعني.

ظلت تشهق وهي تبكي ثم بللت الشاشة فضغطت قطرات الدموع على زر الاتصال بغير عمد منها ولم تلاحظ.

تعجب عندما وجدها تتصل به لكنه أجاب على المكالمة.

لم تعلم أنه يستطيع سماعها حين قالت وهي تجفف شاشتها التي صارت تضغط على كل شيء تقريبا:

- يووووه تليفون ابن جزمة.

- احم، فريدة؟

صُعقت ونظرت في الشاشة وقالت بصوت يحاول أن يكون طبيعيا:

- ألو؟

- التليفون ابن الجزمة اتصل.

ضحكت وسط دموعها وقالت وهي تمسح عينيها:

- معلش مقصدتش والله.

- ولا يهمك، بس صوتك حلو حتى وانتي بتعيطي.

ضحكت قليلا ولم ترد بينما أكمل:

- طلعتي بتشتمي زينا أهو يا فوفا هانم.

ضحكت مجددا وضربت الهاتف بيدها وهي تقول:

- بس بقا.

ضحك وقال:

- وانتي لما تضربي التليفون هتوِجع أنا يا هبلة؟

ضحكت بصوت عالٍ هذه المرة ثم قالت:

- معلش بقى مكنتش عارفة انه اتنيل اتصل.

- لا ده ده عادي أنا مرة اتصلت فيديو بأبو البنت اللي كنت اعرفها من غير ما اقصد ومكانش بيعرف في التليفونات أوي ففكر حد بيتصل بيه مكالمة صوت فرد وحط التليفون على ودنه.

بدأت تضحك بينما أكمل:

- وعلى ما انا اكتشفت ان في فيديو شغال كان هو حاطه قدامه وعمال يبص في الشاشة وهو لابس فنلة وشورت في البيت وشافني، فلما..

أوقفه ضحكها فضحك معها ثم أكمل:

- هو أصلا جارنا، فلما لقيت الفاس وقعت في الراس وشافني قمت عملتله باي باي بإيدي و..

لاحظ ضحكها العالي الذي لم تحاول كتمه بعد الآن بينما أردف:

- وقعد يركز في الشاشة وشكله مكانش يعرف إيه مكالمة الفيديو أصلا ولقاني بقوله وانا لازق وشي في الكاميرا: "عمو أنا بطلب بنت إيد حضرتك، ممكن؟".

كادت تختنق من الضحك وهي تكرر: "بنت إيد حضرته"؟

- كنت متوتر جدا تخيلي تتصلي فيديو غصب عنك بأبو خطيبك مثلا وتكوني قاعدة بلبس البيت وحاطة الكعبورات بتاعتكو دي في راسك.

- وهو انت كـ..

ظلت تحاول الإكمال وسط الضحك حتى أكملت قائلة:

- انت كنت حاطط كعبورات في شعرك؟

- لا مانا بردو كنت قاعد بالفنلة، وكنت حاطط بوكسر على راسي عشان كـ..

غرق كلاهما في الضحك بينما حاول الإكمال وهي تسأله: "وكنت حاطه عـ.. على .. على راسك ليه؟؟".

- كنت بمثل مشهد كوميدي قدام المرايا عشان أسجله وبلعب شخصية بنت.

ارتفع صوت ضحكها حتى وصل إلى أهلها في الخارج، قبل أن تكمل:

- وهي البنات بتحطه على شعرها؟

- يا عم على انه شعر طويل وكده، ما معنديش باروكات أنا عاوزين مني إيه؟ ممثل مبتدئ وبيحاول.

ظلت تضحك بينما أكمل:

- لا انا ممثل جامد اوعي.

انفتح باب غرفتها فجأة بقوة وكان ذلك والدها، ولم يبدُ سعيدا أبدًا. هز صوته غرفتها وهو يهتف:

- هي دي المذاكرة يا فريدة؟

اختفى الضحك من على وجهها وقبل أن ترد أردف:

- هي دي مذاكرتك للامتحان؟

وبدا كأن نبرته تزداد حدة مع كل حرف. ظل ينظر إليها نظرة ثاقبة تكاد تخرق روحها وهي لا تنطق بحرف قبل أن يكمل:

- الامتحان ده لو منجحتيش فيه هطلعك من الجامعة خالص، أنا بقولك أهو!

ثم ترك باب غرفتها مفتوحا وابتعد بينما سمعته يقول:

- انتي مش بتاعت تعليم أصلا، انتي بتاعت مـ..

وشكت أنها سمعته يقول: "انتي بتاعت مرقعة".

تكره هذه الكلمة جدا.. ربما لأنها تعرف في قرارة نفسها أنها فعلا تستحقها. صدر صوت محمد بشكل خافت من هاتفها وهو يقول:

- إيه ده انتي عايشة مع عشماوي؟ إيه الصوت ده!

ابتسمت ابتسامة صفراء بينما قامت وأغلقت باب غرفتها ثم قالت بصوت منخفض:

- ده بابا.. بيقولي لو منجحتش في المادة دي هيخرجني من الجامعة يا محمد.. هو أصلا مش طايقني اليومين دول شكله..

بدأت تبكي قليلا بينما أسرع قائلا:

- طب وده يدايقك في إيه؟

- يدايقني في إيه اني اخرج من الجامعة؟! الـ..

- يدايقك في إيييه يا متسرعة انه يقولك لو سقطتي فيها هيخرجك من الجامعة؟

- اني هسقط فيها فعلا! أنا معرفش فيها حاجة نهائي!

- لا انتي اعتبري نفسك نجحتي فيها خلاص! وهو أنا هسيبك تسقطي يا فريدة؟!

***

وحتى لا أطيل عليك فرحت عندما أخبرها أنه سيساعدها جدا وبدأت علاقتهما تشتد وتترابط وتقوى، وكان يذاكر معها كل يوم تقريبا حتى الامتحان وصارا صديقين مقربين يفطران معا وخرجا معا مرة حتى

بعد الجامعة، (فريدة الطوخي)! لها صديق مقرب، لا يريد مالها! من يتخيل ذلك؟!

كانت صداقتهما عظيمة وقد توافقا بشدة واكتشفا أنهما -لو كان كلاهما على طبيعته- سيكونان صديقين لآخر العمر، لأنهما متشابهان جدا، من الداخل. جاء ميعاد الامتحان بعد انتهاء العشرة أيام وكان ينتظرها خارج المدرج الذي تمتحن فيه في الرواق الضخم الواسع المليء بالطلاب ويقف على جمر.

- حموودااا، عامل إيه؟

انتبه لصديقه الذي اقترب منه ليحييه معانقا إياه. عانقه وأخبره صديقه أنه ذاهب ليفطر، طلب منه القدوم معه لكنه أخبره أنه ينتظر أحدا، سأله:

- حد اعرفه؟

- لا لا، واحدة صاحبتي.

غمز صديقه ووكزه قائلا:

- يا شقي، ماشي يا عم هشوفك بعدين.

ابتسم محمد بينما رحل صديقه يمازح الذي يسير معه.

تضايق محمد أن الفتى أشار إلى فريدة بهذا الشكل، لا شيء عاطفي بينهما، هما فقط صديقين! صحيح؟

لمح خروجها من المدرج ببطئ ولا تبدو على وجهها السعادة.

هتف وقد ذهب ناحيتها:

- عملتي إيه يا فوفا؟ طمنيني!

ضغطت على شفتيها وبدا عليها أنها على وشك البكاء. ذُهل قائلا: "لا.. لا لا لا". بينما أردفت:

- شكلي هسيب الجامعة يا محمد.. أنا مش بتاعت مذاكرة فعلا..

تأثر كثيرا وهو يقول:

- لا يا فريدة متقوليش كده!

بينما بدا أنه هو نفسه على وشك البكاء.

قالت بانكسار:

- كل الأسئلة كانت..

- اممم..

- اللي ذاكرتها معايا الصبح بالظبط، كل النقط اللي قلتلي عليها لقتها وحلتها.

نظر إلى وجهها متعجبا فوجدها تكبح ابتسامة.

- يا بنت اللذين! يعني حليتي حلو!

ضحكت وهي تقول:

- قفِّلت بإذن الله.

لم ينتبه إلا وقد وجد نفسه عانقها ويقول وهي في حضنه:

- طب بتقلقيني ليه! فكرت هتمشي ومش هشوفك تاني!

طابق الذهول على وجهها المستلقي على كتفه ذهول الواقفين في الرواق الذين لم تفارقهما أعينهم، حتى لاحظ هو ما حدث.

نظر حوله ولاحظ نظر الجميع إليه وانتبه أن مشاعره قد قادته قليلا فابتعد عنها مسرعًا قبل أن يمسك بيدها ويأخذها راحلين عن المكان.

***

جلست الأم هويدا مع جارتها (أم مدحت) في صالون شقتهم الصغيرة بينما وقفت مروة في الشرفة تشاهد الأولاد يلعبون الكرة، بينما اقترب منهم شخص بالغ قائلا:

- باصي يا مصطفى.

وبدأ يلعب معهم وقد غمرتهم السعادة وهو يقوم ببعض الحركات المبهرة بينما هجموا عليه محاولين أخذ الكرة منه وهو يفلتها من بين أرجلهم حتى أخذوها وهو يضحك، ابتسمت مروة لا إراديا وهي ترى حب طفولتها ومراهقتها أمامها سعيدا هكذا يلعب مع الأولاد، غير مدركة سبب سعادته اليوم.

صعد بخطوات بطيئة مبتسما على الدرج حتى وصل إلى الطابق الأول ووجد مروة واقفة على الباب.

- ازيك يا مروة باشا.

قالها مبتسمًا بينما ردت ضاحكة:

- محمد أفندي، مالك مبسوط أوي؟

- لا كان يوم حلو بس وحليت كويس في الامتحان.

- طيب يا سيدي ربنا يبسطك على طول، مامتك هنا.

- تمام، قوليلها اني جيت بقى وطلعت.

- مش هتقعد معانا؟

- لا والله كان يوم طويل معلش وتعبان خاااالص، هطلع انام.

صعد ودخلت مروة وعلمت أنه سينام لكنها بعد ثلاثة أو أربعة ساعات عند منتصف الليل كانت في الشرفة تستمع إلى الموسيقى بينما سمعت ضحكا عاليا من الغرفة التي تعلوها، غرفته.

- الراجل المجنون ده هيجيلي في كوابيسي كل ليلة هههههه.

- يقولك هههه.. يقولك هات لحسة هههههههه.

ضحك هو وفريدة وهما يتذكران الرجل الذي سار وراءهما بعد أن اشترى محمد لفريدة مثلجات وشوكولا احتفالا بنجاحها المتوقع.

تريد أنت طبعا أن تعرف ماذا فعلا هذا اليوم صحيح؟ وأنا ليس لي إلا تلبية طلباتك، تعال.. ولكن اخفض صوتك، ولا تدع أحدا يرانا..

***

كان الجميع ينظر إلى ذلك الفتى المجنون الذي عانق فتاة في الرواق، ثم أخذها من يدها وذهبا، أي مخبول يفعل ذلك؟

- هنروح فين؟

هتفت وهو يمسك بيدها ويسيران ناحية بوابة الجامعة.

- تعالي نخرج بس من الجامعة.

شعر بحرج شديد مما حصل يشوبه غضب لأنه يرى أنه شوه سمعتها عن غير قصد وجعلها تبدو بمظهر غير لائق أمام باقي زملائهم.

وقفا أمام باب الجامعة وهي تسأله:

- محمد هنروح فين؟

- مبدأيا معلش على اللي حصل مكنتش أقصد فعلا.

- ماشي.. ولا يهمك عارفة..

- ثانيا..

- هاه..

- أنا مجهزلك مفاجأة.

- مفاجأة إيه؟

- بمناسبة نجاحك.

ضحكت قائلة:

- وانت مجهزها من امتا؟.

- امبارح.

- وانت امبارح كنت عارف اني هنجح؟

- أيوة انا كنت عارف انك شطورة وهتفرحي بابا.

تغير وجهها وقالت بضيق: "أنا ميهمنيش يفرح ولا ميفرحش أنا أ.." ولكنه قاطعها قائلا بابتسام:

- أنا بتكلم عني أنا يا كوكو.

سكتت وظلت ذاهلة لثانيتين ثم ظهرت على وجهها ابتسامة صافية ونظرت في الأرض قبل أن يقول بحماس:

- يلا بينا.

هتفت وهو يسحبها من يدها:

- طب اعرف هنروح فين طيب.

***

ثلاثة أعوام مضت منذ أول علاقة دخلتها فريدة، كان ذلك في فترة دخولها الجامعة، كان شابا ملائما لها تماما، غني متغطرس محاط بمجموعة من الشباب يبدون كخدمه، يضحكون على كل نكاته ويذهبون معه في كل مكان، ويبدو أن نواياهم واضحة لك عزيزي القارئ سريع الملاحظة.

سبب فراقهما بعد أن كانت مولعة به وتشعر أنه أمير أحلامها أنها عرفت أنه يشارك صورها ومحادثاتهما مع أصدقائه الذين بدا أحدهم أنه لا يزال يملك ذرة نخوة فأرسل إليها يخبرها بأفعال حبيبها الشنيعة، ظلت تنكر أولا ثم تأكدت. ظلت تبكي وانهارت وشعرت أنها لا تساوي شيئًا، ثم عرفت أن صديقه إنما فعل ذلك ليتقرب هو الآخر منها وتكون معه هو لأنه -حسب قوله- "مش زي الأشكال دي".

حظرت جميع تلك المجموعة الفاسدة وأولهم قائدهم القذر ومن يومها قررت عدم الدخول في أي علاقة أخرى، ولم تره منذ فترة لأن والده قد نقله إلى جامعة أخرى لسبب ما.

وها هي الآن تجلس في تلك السينما مع ذلك الفتى الفقير محمد الذي يمسك بيدها وهو ينظر إليها تشاهد الفيلم خائفة وتكاد تبكي، وقد بدأ اليوم فقط يدرك أنه.. ربما.. فقط ربما.. يحتمل أنه.. يحبها؟

"لابد أن أقتل كل من شارك ضد الروبوتات! أيها الـ..".

استدارت إليه ضاغطة على يديه وهي تقول:

- محمد أنا عاوزة أمشي.

- حبيبي ده فيلم!

- لا لا مش مستحملة معلش، يلا.

قام وقامت معه ليرحلا حاجبين الرؤية لجزء من الثانية عن الجالسين في الصف الخلفي بينما يعبران، ويبدو أن ذلك كان كافيا للتذمر.

قال وهما يخرجان من بوابة السينما: "خرجنا قبل أحلى حتة".

توقفت ونظرت إليه بضيق وضربته في كتفه قائلة:

- إذا كان هو أول عرض انت عرفت منين؟

- عندي سينس أنا في الأفلام، بحس بالحتت الحلوة قبل ما تيجي.

قال ذلك وعلى وجهه فخر غير مبرر تماما.

- والله؟

أكملا سيرهما خارج السينما وناحية الشارع الرئيسي بينما أردف متضايقا:

- وبعدين المواد اللي صنعتها الروبوتات استولت على عقله واتجنن وكان خلاص هيقتل الـ..

- خلاص خلاص! خلاص..

وضعت كفها في كفه من جديد وبدآ بالسير على رصيف الشارع بينما سألته:

- محمد انت حبيت قبل كده؟

- شنو هالسؤال الغلس هذا؟

- صرت خليجي من سؤالي؟

ضحك وقال:

- حبيت آه بس كان حب فستك، انتي الحب اللي بجد.

وقفت ونظرت إليه صامتة فضحك وقال:

- بهزر خلاص.

نزعت كفها من كفه وظلت تمشي صامتة حتى سألها:

- مالك؟

لم ترد عليه وظلت تسير بلا كلام. توقف وأوقفها ونظر في عينيها ولاحظ بعض الدموع بدأت تتكون فيهما.

- فوفا مالك يا حبيبي؟!

انهارت في البكاء بينما عانقها من جديد وهي تقول:

- انت كان عندك حق، أنا عمري ما هتحب من أي حد بجد..

وضع وجهه أمام وجهها وهو يقول بينما يشدد على كفيها:

- فوفا..

نظرت إليه بحزن دون أن تقول شيئا وقد بدأت عيناها تنزلان بعض الدموع وقال هو وعلى عينيه حب الكون كله:

- أنا مش بهزر أوي بصراحة..

ابتسمت قليلا ثم بدأت تبكي وهو يقول:

- فريدة.. أنا اللي بيحبك يا فريدة.. أنا بحبك!

***

مرت تسعة أشهر كانا فيها يتواعدان، أيام أخبرني عنها أنها "الجنة" حين سألته عنها.

تكلما كل ليلة بالساعات، خرجا وذهبا إلى كل مكان، ذهبا إلى السينما عدة مرات، وشاهدا الكثير من الأفلام على الانترنت معا، أذكر حتى المرة التي شاهدا فيها فيلم (تيتانيك) الذي لم تشاهده هي من قبل، وعلق هو بعد الفيلم أن الأمر غير واقعي أن يضحي أحدهم بحياته من أجل فتاة، أيا من كانت. ردها لم يعجبه طبعا ولكنه ظل على رأيه. ذهبا معا إلى حدائق، أماكن أثرية، جلسا على كل نواحي النيل، ذهبا إلى متحفين إذ أنها كانت تستمتع بزيارة تلك الأماكن، ذهبا إلى القلعة وشارع المعز، الحسين، حتى أنهما ذهبا لمشاهدة مباراة كرة قدم وكلاهما لا يتابعان الكرة، لكنها أحبت الجو هناك جدا واستمتعا. حتى أنهما خططا للسفر معا يوما من وراء أهلهم، رآها أكثر مما يرى أي شيء، أحبها أكثر مما أحب نفسه وأمه والناس أجمعين. أخبرته بكل سر عاشته، كان معها في كل لحظة مرت بها في كل يوم، الأوقات الصعبة قبل السهلة. كانت - كما وصفها أحدهم- العلاقة المثالية. ظلا معا حتى تخرجا من الجامعة وبدأ محمد يخطط للعمل بشهادته ليبدأ تكوين مستقبله، مستقبله معها، مستقبلهما. لم يتفاهم حبيبان كما تفاهما، لم يحب أحد أحدا كما أحبت فريدة محمد، وكما عشقها هو بكل روحه، حتى جاء يوم ما..

- مش هتشوفي الولد ده تاني! فاهمة ولا لا؟!

- ماما ده..

- بس! مسمعش صوتك! الناس كلها شايفاكم مع بعض في كل حتة انتي والشحات ده! عرتينا.. مجرد صحاب وبتاع ماشي صاحبي اللي تحبيهم عادي، لكن صور وحب وقرف ومنزلة ماسك إيدك وعليها كلام حب وكلام فارغ! على آخر الزمان هنناسب الشحاتين؟!

وقفت فريدة في وجه أمها صارخة:

- ماما لو سمحتي! أنا مسمحلكيش تتكلمي عن محمد كده!

وهنا حيث.. صفعتها أمها على وجهها، للمرة الأولى في حياتها.. ثم أخذت هاتفها وخرجت من الغرفة وهي تسبها وتلعنها وتلعنه بأقذر الألفاظ.

***

(2)

غرفة مظلمة متسخة، بداخلها روح أكثر ظلاما، تصرخ متمزقة وقد بداخل جسد مات من الداخل وما زالت به الحياة، الحياة المجردة. كل يوم يمر أبطأ من الذي قبله، والليالي تبدو أحيانا أنها قررت التوقف في منتصفها إذ لا يبدو على الوقت أنه يمر على الإطلاق، كأنها رأت إشارة حمراء. لا يستطيع النوم، ولا يطيق الاسيقاظ. كان مرتميا على أرضية غرفته المتسخة وروحه تحترق في جحيم، ممسكا بهاتفه يبكي وهو يرى أن حبيبة حياته حظرت كل وسيلة للتواصل معه، حتى آخر محاولة حاولها للوصول إليها فشلت، كل رقم له تم حظره، وجلس كالسمكة التي تم إخراجها من الماء ومُنعت من كل سبيل للعودة إليه.

لم يعرف حتى السبب، كل ما وجده كانت الرسالة الوحيدة التي وصلته من إحدى حساباتها تقول: "ابعد عني لو سمحت ومتقربش مني تاني! الموضوع منتهي خلاص."، الرسالة التي أرقته ليالٍ طوال لم يستطع النوم بها وبقي يبكي كالأطفال مرتميا على أرضية غرفته الملظمة حتى كاد الدم يتبع الدموع الخارجة من عينيه.

كان شخصية لطيفة حالمة إيجابية في الغالب، رقيق المشاعر، وقد سقط في الحب وغرق فيه حتى صار في أعماق أعماقه، محاطا بكل أحلامه الجميلة وسط تلك المياه الدافئة، ثم أُخرجه أحد منها وألقاه بعنف عاريا في أبرد مياه متجمدة في سقيع القطب الشمالي.

دخل محمد فترة اكتئاب طويلة لم يهتم فيها بنفسه وتوقف عن كل شيء في حياته تماما وصار شكله في المنزل كالأشباح أو الموتى الأحياء،

ولم يكد يبدو كإنسان أصلًا، صار شعره أشعثا وملابسه متسخة ولم يعد يغتسل ولا يأكل إلا ما يمنعه عن الموت، ماتت عينيه وصارت شبه مغلقة طوال الوقت وقد أحاط بهما سواد من كثرة البكاء وانتفختا، توقف عن الكلام مع أصدقائه وحظر جميع الأرقام، حتى عندما اتصل به والده عندما أخبرته الأم هويدا بالحالة التي وصل إليها ابنه لسبب لا تعلمه حتى ظنت أنه يتعاطى المخدرات لم يرد عليه، وقد كان محمد يشتاق سابقًا إلى الكلام معه، أما الآن فقد أغلق المكالمة في وجهه وحظر رقمه هو كذلك. أما والدته فقد صارت تبكي عليه ليل نهار إذ لا يسمح لها حتى بالكلام معه ويصرخ بها إذا فكرت حتى في النظر إليه أو الحديث معه بأي شيء. أقسمَت أمه أنها كانت تسمعه يحدث نفسه أثناء الليالي أحيانا بصوت مرتفع، وأحيانا يضرب الحائط وهو يبكي، ناهيك عن المرة التي أخذ بها سكينا من المطبخ وظل يجرح نفسه.

ولم يعلم أن أمها كانت قد أخذت منها هاتفها بشكل تام، وهددها أبوها أن تحاول التواصل معه، وإلا سيدمر حياته وحياة عائلته كلها (على حسب تعبيره). ولم يعلم أيضا أن أمها هي التي أرسلت تلك الرسالة اللعينة من حساب ابنتها، التي لم ترد قط أن تبتعد عنه لحظة.

***

المملكة العربية السعودية، مدينة الرياض، حي البطحاء، حيث يعيش والد محمد منذ سبعة أعوام تقريبا.

- مالك يا مروان النهاردة؟

رد بإحباط:

- محمد ابني من هويدا، بتقولي شكله بيشرب مخدرات وحالته زفت وعنده اكتئاب وبيصرخ فيها وحالته نيلة خالص.

تنهد ثم ارتمى على الأريكة وهي تقول له:

- طب ما تتكلم معاه تشوف في إيه!

- حاظر رقمي الأستاذ! أعمل إيه دلوقتي، بتقولي مكتئب وهيموت نفسه وكلام فارغ، أنزل له مصر ده يعني ولا أعمل إيه!

***

موسيقى عالية بعض الشيء تصدر من سماعات كبيرة وُضعت بداخل ذلك الشاليه الذي يطل على بحر الإسكندرية الذي تلون بالأسود نتيجة لسواد سماء الليل فوقه.

يجلس محمد على مقعد خشبي عريض على شرفة الشاليه ينظر إلى البحر. يعلم أنها كانت فكرة جيدة عندما اقترح عليه صديقه (ضياء) قضاء أسبوع أو أسبوعين هنا في الشاليه الذي يملكه والد ضياء، يعلم أن البحر يعالجه ويخفف عنه، ولم يخبره أن أمه كانت هي التي طلبت منه مساعدة ابنها بأي شكل لأنها تعلم قربهما.

وجهه كوجه الميت، تتلاطم الأمواج أمام عينيه وتتلاطم أمواج أكبر منها داخل قلبه. بدأ وجهه الميت يتحرك قليلا عندما بدأت شفتاه ترددان مع الأغنية الصادرة من السماعات:

"ومبجبش سيرة عنك في الكلام..".

بدأ قلبه ينغزه وهو يردد:

- ومبقاش في بيننا سلام أو كلام..

"ده انا خاصمت الشوارع اللي مشينا فيها عشان يهدى بالي.."

بدأت عيناه تصدران إنذارات الفيضان والأغنية تكمل:

"وأرتاح من الآلام.. مبسمعش الأغاني ولا بيشغلوني المشاعر دي تاني ولا عندي اهتمام.. ولـ..".

قاطعه حضور ضياء من داخل الشاليه وهو يضحك بخفة قائلا:

- يا عم كفاية حزن بقى خلينا نسمع حاجة حلوة، كفاااية بؤس يا باااائس، البؤس بياخد شهر ويخلص، انت بقالك شهرين ونص وداخل في الثالث، إيه هي مسابقة؟ فك بقى يا عم.

قال ذلك وهو يضرب بكفه على كتف محمد قبل أن يدلكه وهو يقول:

- أنا خارج مع صحاب ليا هنا هتيجي معانا؟

هز محمد رأسه يمينا ويسارا بدون أن يتكلم قبل أن يربت ضياء على كتفه قائلا:

- اللي يريحك يا حبيبي، التليفون معايا لو عزت أي حاجة كلمني.

لم يرد محمد فأردف:

- هروح أنا بقى ماشي؟

- ماشي..

"وليه رغم الكلام ده مفتقدك بشدة ومن يوم فراقنا حياتي مش تمام..".

تسعة أشهر.. تسعة أشهر.. تسعة أشهر قضيا فيها كل يوم سوية.. مئات المواقف.. آلاف الذكريات.. فيضانات من المشاعر..

- يعم لا أنا بخاف من المرتفعات..

قالتها وهي تبتسم ممسكة بيده بشدة.

- انتي مش ماسكة إيدي؟

التفتت إليه مبتسمة ونظرت في عينيه قائلة:

- آه..

- وانتي ماسكة إيدي متخافيش من أي حاجة نهائي!

وقف معها على السور الصغير لذلك المكان المرتفع فوق الجبل الذي لطالما أرادت الصعود إليه ورؤية المدينة من هذا الارتفاع.

- محمد..

- قلب محمد.

- متسبنيش..

نظر في عينيها وابتسم قبل أن يقول:

- عمره ما هيحصل.

كانت الأغنية التالية قد بدأت وتتردد على مسامعه:

"ونازلة دموعي سألاني.. هيتعوض بمين تاني.. همووت لو راح"..

انهار باكيًا وقام من على المقعد متجها ناحية البحر ليستمد المزيد من قوته وقدراته العلاجية التي لطالما شفت روحه. وقف في آخر حديقة الشاليه ينظر إلى البحر لبضع ثوان قبل أن يفتح بوابة الشاليه الصغيرة ويتجه ناحية البحر، وصوت الأغنية ينخفض خلفه مع كل خطوة.

"خلاص ضيعته من إيدي..".

بدأت قدماه تطبعان أثرهما على الرمال وكذلك قطرات دموعه، خطوة بخطوة ناحية البحر الواسع المليء بالأحزان التي بثها فيه الآلاف ممن وقفوا أمامه، ظل يقترب حتى وقف أمام البحر مباشرة.

***

- بنتك هتفضل كده يعني ولا إيه يا دعاء مش فاهم!

- والله جربت معاها كل حاجة.. طب اخرجي معانا يا بنتي، طب قريبتك علا عايزة تشوفك، طب نسافر، طب مش عارف إيه، طب يا بنتي حتى كلي أكلك! مبتقومش من السرير خالص.

- من ساعة الـ*** اللي عايزة تتصرمح معاه ده.. حسبي الله ونعم الوكيل.

***

أمواج البحر تتلاطم، وأمواج كربه تغلي. وقف أمام البحر بينما ظلت تحيطه الرياح وهواء البحر البارد وظل يقترب حتى لامست الأمواج قدميه، ولا يزال يتذكر.

- محمد مقصدش والله تريقة بس الـ..

ضحكت وهي تكمل:

- المكان ده زبالة موت يعني..

نظر إليها وضحك بدوره قائلا:

- بصراحة فعلا مكان زبالة.

وقفا على جانب الطريق بينما ظلت تضحك وهي تغطي فمها.

- بصي بصي الـ.. الراجل ده اللي قاعد بالشورت على القهوة ده..

نظرت قبل أن تراه جالسا يشرب الشيشة وتنهمك في الضحك وهو يكمل:

- ممكن يكون من عندكم في الكومباوند وبيجي يصيف هنا في العزبة.

نزلت على ركبتيها من الضحك ممسكة بيديه وهي تقول:

- بس.. بس.. خلاص مش قادرة.. مش قادرة بطني..

- القطة دي تلاقيها شغالة خدامة عند قطة شيرازي عندكو في الكومباوند.

بدأت تسعل من الضحك وهي تكرر:

- محمد مش قادرة مش قادرة، بطني..

أغرقت دموعه عينيه اللتان أهلكهما البكاء فصارتا كأنهما على وشك السقوط وهو اختلطت الدموع بماء البحر فزادته ملوحة.

"همووت لو راح.. همووت لو رااح".

بدأ يتقدم ناحية البحر أكثر وأكثر ويخطو وسط المياه، حتى وصلت المياه إلى ركبتيه.

***

- فريدة..

لم ترد عليها وأكملت التظاهر بالنوم.

- حبيبي.. ردي على ماما..

لم يصلها رد فجلست بجانبها على السرير وأكملت:

- عملتلك الفاصوليا اللي بتحبيها ورز معمر وملوخية، يلا أكل يستاهل بوقك.

بينما ظلت فريدة على سريرها وسط الغرفة المظلمة التي أضاءها نور الرواق بلا حراك ولا تتكلم.

***

ظل يخطو أكثر وأكثر في المياه حتى وصلت المياه إلى صدره، ثم دخل أكثر وأكثر حتى وصلت إلى رقبته.

***

- مش عايزة حاجة.

- يا حبيبي لحد امتا كده؟ أنا وابوكي تعبانين عليكي حرام كده.. قومي حتى اقعدي معانا ومتتكلميش.

هنا قامت فريدة واعتدلت جالسة فابتسمت الأم، قبل أن ترى وجهها، الذي يبدو كأن أحدا حاول تقطيعه، والعيون التي بعدما كانت كاللؤلؤ صارت كلحم حيوان ميت.

- إيه ده ماله وشك يا حبيبي!

- أنا بكرهك!

ثم بدأت تضرب أمها بشكل عشوائي وهي تصرخ بصوت وصل لآخر الشارع:

- اطلعي براااا بقاااااااا!

***

بدأت الأمواج تغطي وجهه، يعلم أنه لم ولا يعرف السباحة، بدأ يدفع نفسه أكثر وأكثر للداخل، لم يعد يرى البحر معالجا، إنما أراد تحويل معالجه إلى قاتل.

***

- ربنا يبني يقومك على خير وترجعلنا زي ما كنت.. آاه يا رب.. يا رب ارعاهولي ده كل اللي حيلتي.. يا رب..

ظلت الأم هويدا تردد ذلك وتدعو وهي في بيتها الصغير وحيدة ليس معها أحد، حين طرق أحدهم الباب ففقز قلبها من الرعب، إنها الواحدة بعد منتصف الليل.

بدأ محمد يرى كل ما عاشه يدور أمام عينيه، وهو يعلم أنه سيموت الآن.

- تهنئ إدارة المدرسة الطالب/ محمد مروان وتهديه شهادة تقدير لـ..

وقف مبتسما ينظر إلى أمه وأبيه اللذان يقفان بفخر يصفقان له وسط فناء المدرسة، مع عشرات الآباء والأمهات.

***

- محمد أنا بحبك أوي..

غرقت عيناه في عينيها بينما كان قلبها يسرع النبض ويرجف وقال:

- أنا بحب كل حاجة فيكي.. بحبك يا فريدة.. زي عنيا الاتنين.

بدأت تدندن بعد أن ابتسمت:

- أنا بحبك قد عنيا.. وحياة عينيك وفداها عنيا..

فتحت الأم هويدا الباب بعد أن نادت بعنف: "مين!"، وسمعت صوت مروة "أنا مروة يا طنط".

- خير يا حبيبتي؟

- طنط عاوزة أقولك حاجة ومكسوفة منك جدا جدا..

أمسكت بيدها وأدخلتها الشقة قائلة بعطف:

- تعالي يا حبيبي، قوليلي يا ماما في إيه.

- محمد..

- ماله؟

***

بدأت دموعه تختلط بالأمواج وقد علم أنها رحلة اللاعودة.

- بص الولد الأمور ده..

نظر فوجد طفلا صغيرا بارع الجمال مع والده ووالدته صغيرَي السن.

- ابنك هيبقى أحلى بإذن الله يا فوفا.

نظرت إليه فأردف مصححا:

- ابننا.

فابتسمت وأكملا طريقهما وهي تتخيل شكل ابنهما.

***

- كنت نايمة وشفته في الحلم..

ردت الأم بخوف:

- خير..

أكملت مروة بقلق:

- شفته بينط من فوق جبل يا طنط وهو بيبكي..

ثم ارتمت في حضنها وقد انهارت في البكاء، والأخرى تردد "استر يا رب.. خير يا رب.. خير..".

ظلت تبكي حتى هدأتها الأم هويدا وأخبرتها أنها ستتصل للاطمئنان عليه الآن.

***

توقف ضياء عندما رن هاتفه ووجدها والدة محمد، استأذن من أصدقائه ووقف على جانب الطريق يحدثها.

ظلت الأمواج تسحبه وتقلبه لأعلى وأسفل وقد استسلم للموت والغرق، بينما يكرر في عقله: "متتعاشش لو مش معاكي.. متتعاشش يا فريدة لو..".

- محمد لو سمحت بطل تتكلم كده!

نظر إليها صامتا بينما أكملت:

- انت عارف اني.. مش بحب تتكلم كده..

بدأت تبكي وأدارت وجهها وغطته بينما قام من مكانه وجلس بجانبها قائلا:

- خلاص طيب..

- لا مش خلاص يا محمد انت كـ..

- براحة طاه.. براحة مش ريمكس راب هو، ببطئ عشان آخد الإهانات بشياكة.

ابتسمت فأخفت وجهها بينما قال هو ممسكا يدها:

- خلاص والله، مش هيحصل تاني، فك بقى يا عم الشمس لما تزعل دنيتي هتضلم أنا مش هعرف أشوف الكافيتيريا وأجبلك عصير البطيخ اللي بتحبيه..

تظاهرت بالحزن وهي تقول:

- مش عايزة..

ظل ينظر إليها مبتسما بينما نظرت إلى السماء وأشارت قائلة:

- وبعدين الشمس أهي، كويسة أهي ومبسوطة.

- لا يعم سيبك من الشمس دي، دي دايما دمها محروق، أنا بتكلم على الشمس دي.

وأشار إليها بينما أدارت وجهها.

- يا شمسي وقمري..

لاحظ صديقه البوابة المفتوحة عندما عاد ليجعله يكلم أمه لتطمئن عليه لأنه حظر رقمها هي كذلك على هاتفه، أرادت الاطمئنان عليه وفورًا، برغم تكرار ضياء طمئنته إياها وأنه بخير لكنها ألحت، فاضطر إلى الاعتذار من أصدقائه وإخبارهم أنه سيذهب إليهم مباشرة في المكان الذي سيذهبوا إليه وعاد ليجد أن محمد ليس في الشاليه كاملًا، حين رأى شخصا ما يتقلب وسط الأمواج على بعد مسافة قصيرة، ويبدو أنه.. يغرق!

***

- هاه يا طنط؟

- قالي هيتصل بيا خلال عشر دقايق ويخلي محمد يكلمني أهو.

***

- انت مجنووون؟!!

صرخ ضياء وهو يجري ناحية البحر قبل أن يقفز فيه محاولا الوصول إلى صديقه.

- حد يعوم دلوقتي؟! انت مجنون؟! وبعدين انت مبتعرفش تتنيل يخرب بيتك!

ظل يسبح بسرعة ناحيته مادًا يده وهو يصرخ:

- امسك إيدي يا محمد!

والآخر بلا رد فعل على الإطلاق، وقد ترك نفسه للغرق.

- انت إيه يبني اللي بتعمله ده!

- سـ.. سبني يا ضياء.. سبني أموت، لما أ.. أموت هرتاح.

- هتعمل إيه لو أنا مُت؟

نظر إليها بلوم ورفع يدها إلى فمه مقبلا إياها وقال:

- بلاش يا حبيبي الكلام ده.

- لو يعني..

- هموت نفسي، ارتحتي؟

- بس أنا عاوزاك تعيش لو أنا مت وتحقق أحلامك عشان روحي ترقد في سلام.

تنهد بضيق ونظر إليها مبتسما وهو يقول:

- لا مانا هموت عشان ابقى معاكي وأضمن انك تبقي في سلام.

نظرت إليه بسخرية قبل أن تضحك قائلة:

- الأفلام الهندي كلت عقلك.

ضحك وهو يضربها في كتفها قائلا:

- أنا بعوم على عومك يا حيوانة..

- عوم يا محمد هتغرق يا أخي!! اتحرك يبني!

بدأ الآخر يتحرك قليلا مع صديقه الذي آلمه جسمه وعقله وهو يسحبه ناحية الشاطئ.

- انت فين الوقتي يا حبيبي؟

- وصلنا اسكندرية اهو.

- تمام، ترجعلي بالسلامة.

- ببص للبحر الوقتي، بيفكرني بيكي.

- هههه اشمعنا؟

- جماله لا محدود، مبيخلصش، زي جمالك، السرحان فيه عامل زي السرحان في عيونك يا لوزة.

- هههه يا قلب لوزة.

ظل مبتسما حتى قالت:

- كنت قاعدة مخنوقة والله محدش بيعرف يفكني إلا انت.

- انت مجنون مجنووون!

ظل صديقه يسحبه ومحمد بالكاد يساعده على ذلك حتى أوصله إلى الشاطئ وقد لفت بعض الأنظار.

***

- اتصلي بيه طيب تاني يا طنط!

أجاب الطرف الآخر وكان ضياء وهو يلتقط أنفاسه قائلا:

- أيوة يا أم محمد..

- مالك يا ابني بتنهج ليه كده؟!

نظر إلى محمد المغطى بمياه البحر الجالس على شرفة الشاليه ولم يرد إخبارها فقال:

- لا مفيش يا طنط.. كنت بجري بس مع صحابي..

- طيب هاه طمنني..

ظل يتنفس بصعوبة ثم قال:

- جيت لقيته قاعد أهو، بس متدايق مش عاوز يتكلم..

- بالله عليك سمعني صوته بس عشان أهدى يا ضياء.

أخذ الهاتف وقام إلى صديقه الجالس على أرضية الشرفة لا يزال ينظر بشرود نحو البحر فضربه في كتفه وأشار إليه وقد فعَّل سماعات المكالمة:

- معاكي أهو يا طنط..

لم يتكلم محمد فضربه ضياء بقدمه في ذراعه حتى نظر محمد إليه بضيق ثم قال وقد وضع فمه بجانب الهاتف:

- أنا كويس يا أمي..

ثم أشار لضياء ليذهب بعيدا.

- كل يووم بيفوت عليا..

ظلت تنظر إلى الملابس وتقلب فيها بينما أكمل رافعا صوته في المتجر:

- ليك بحن في كل ثانية..

نظرت إليه قائلة:

- يبني الناس! بس.

سكت قليلا بينما أكملت تقليب الملابس حتى سمعت صوته أعلى من ذي قبل:

- نفسي ترجع تاني ليبيا..

مشوبا بضحكه وضحك بعض الزبائن.

- نفسي ترجع تاني ليا.. ترجعي ولو يوم يا فريدة..

أغلق ضياء المكالمة ثم جاء إليه صارخًا فيه:

- محمد انت اتجننت؟! انت عايز تعمل لي مصيبة؟!

بينما الآخر لا يسمعه ولا يراه، كل ما يراه هو البحر، ووجهها هو القمر فوقه.

***

(3)

- الحمد لله انه بخير يا أمي..

ردت الأم هويدا على مروة وهي تقوم ناحية الباب قائلة:

- بإذن الله يرجع بالسلامة، تسلمي يا بنتي انك قلقانة عليه كده..

- معلش بقى اني قلقتك أنا آسفة..

ودعتها مروة ثم نزلت إلى شقتها بينما بدأت الأم تتكئ على كعازها تتحرك حول البيت وقد بدأت تبكي بعض الشيء مشتاقة إليه ومستوحشة البيت بدونه.

دخلت غرفته افتقادًا له فوجدت.. أوراقا في كل مكان.. على الأرض والمكتب والكرسي، وأطباقا وطعاما على الأرض، وذهلت عندما وجدت أنه قد كتب على الحائط ببعض الألوان: "النسيان هدف لا سبيل إليه"، وحولها ما يبدو أنه.. لون أحمر.. علامات تبدو كأنها.. دم؟!

***

مر يومان منذ محاولة انتحاره وقد تحدث معه صديقه ضياء بل جلب له معالجا نفسيا حتى البيت. بدأ محمد يقلع عن فكرة الانتحار ولكنه.. ما زال يتمزق من الداخل..

- يا ضياء أنا هموت! ازاي حتى تقطع عني كده مرة واحدة! أنا حرفيا بنيت كل حاجة عليها وعلى وجودها! كل حاجة!

- يا ابني طيب.. طيب بالعقل، اللي انت بتعمله ده هيرجعها؟!

- لا! وعارف ان مفيش حاجة أعرف أعملها ترجعها ولا عارف أوصل لها يبقى أموت أحسن!

- ليه بس؟! طب قل لي انتوا اتخانقتوا قبل الموضوع ده؟

- لا خاالص! وبعدين عمر ما حد مننا يعمل كده مع التاني مهما اختلفنا! عشان كده قعدت بتاع يومين غير مستوعب اللي هي عملته، ازاي بس يا فريدة ازاي..

ثم لم يتمالك نفسه وبدأ بالبكاء..

قام حينها صديقه وجلس بجانبه على الأريكة وبدأ يربت على كتفيه قائلا:

- خلاص يا صديقي اهدى.. اللي خلقها خلق غيرها..

- لا مخلقش.. مخلقش..

ثم ردد وهو يمسح عينيه:

- مفيش حد زيها..

***

- مفيش حد عندي زيه يا ماما.. متحاوليش.

- يا بنتي ليه يعني! هو اللي خلقه مخلقش غيره يعني؟!

- لأ مخلقش، وسيبيني لوحدي بقى لو سمحتي مش عاوزة أسمع مواعظ أنا..

- يا بنتي.. وائل ده حنين و..

- ماما بقى يووووه ينعل أبو وائل وزفت! مش عاوزة أرتبط أنا بحد فكك مني بقى!

سكتت الأم قليلا ثم وضعت يدها على كتف فريدة قائلة:

- استهدي بالله.. فترة وتروقي بإذن الله.. مش عاوزة نروح إسكندرية طيب؟ انتي بتحبي اسكندرية، وبابا موافق، هاه؟

***

(4)

الثالثة عصرًا، بداخل ذلك الشاليه بارع الجمال بحديقته الأمامية الواسعة، سنعبر من بابه لنرى محمد جالسًا على يسارك هنا على تلك الأريكة ممسكا بهاتفه، يقرأ شيئا بينما يستمع إلى "ده أنا من يوم ما سابتني وقلبي مهوش مرتاح، أسكت ليه ده أنا بس بقول اسمها برتاح" وكان كلما مر على ذلك الجزء ذكر اسمها. كان ضياء يستحم في الحمام الذي ينتهي به الرواق الذي على يمينك. إذا تلصصنا سنرى محمد منتبها جدا لما يقرأ، فسيدفعنا الفضول لنرى إلام ينظر، تعال.. تعال معي ننظر..

"من المستحيل أن يتمكن أي شخص من محو الذكريات نهائيًّا من عقله، ولكن يمكنه القيام ببعض الخطوات التي تجعلها أقل بروزًا، أو التي تغير من طريقة شعوره عند تذكرها، وخاصةً المؤلمة أو الحزينة منها، والخطوات كالآتي:..".

تنهد ثم بدأ يقرأ الخطوات.
"عليك أن تحدد الذكرى التي ترغب بنسيانها، عن طريق تذكر التفاصيل، وفي حال واجهت صعوبة في تذكر كل التفاصيل يمكنك الإجابة عن بعض الأسئلة التي ستساعدك مثل: ماذا حدث؟ متى حدث وأين؟ ومن كان موجودًا؟ وماذا كان يحصل غير ذلك؟ وكيف كان شعورك؟".

- ماذا حدث؟

ارتمى على سريره سعيدا ليخبر فريدة بما يخطط أن يفعلاه اليوم، فتح شاشة هاتفه، فتح التطبيق الذي يراسلها عليه.. لا صورة.. والرسائل لا تصل..

فتح التطبيق الآخر..

"لا يمكنك الرد على هذه المحادثة.".

والرسالة الأخير هي:

" ابعد عني لو سمحت ومتقربش مني تاني! الموضوع منتهي خلاص.".

بدأت بعض الدموع تتكون في عينيه بينما أكمل:

"ومتى حدث وأين؟".

- من حوالي ثلاث شهور من دلوقتي.. أو شهرين ونص..

"ومن كان موجودًا؟".

- سوء الحظ أعتقد..

"وماذا كان يحصل غير ذلك؟"."

- والله ما فاهم تقصد إيه أصلا، هاه اللي بعده.

"كيف كان شعورك؟".

- الـ.. العالم لف بيا و.. حسيت بنغزة في قلبي..

حاول الاتصال بها صعقا من حظره فوجد رقمه كذلك محظورا.
اتسعت عيناه وسقط على الأرض ممسكا برأسه وهو يردد:

- لا.. لالا.. لا ده أكيد كابوس لاااااا!.

قبل أن تأتي والدته للاطمئنان عليه.

بدأ يبكي بينما لم يجد أنه استفاد شيئًا فبدأ يمرر إصبعه على الصفحة حتى وصل إلى "طرق نسيان الذكريات" التي لم تفده كثيرا، حتى لفت نظره الإعلان الذي ظهر على يسار الصفحة.

إعلان به صور متحركة لونه كله أبيض وفي المنتصف رجل يرتدي زي طبيب ومكتوب تحته:

"لديك ذكرى تؤلمك؟".

أخرج ضياء رأسه من الحمام ونادى على محمد وقال له شيئا لم ينتبه له محمد وأكمل القراءة:

"ليس بعد الآن، توصل أطباء من معمل (***) إلى طريقة إنهاء ذكرياتك الحزينة".

وقد كُتبت "إنهاء ذكرياتك الحزينة" بخط مختلف للدلالة على أهميتها.

- يا محمد!

انتبه إلى صوت ضياء القادم من الغرفة آخر الرواق فترك هاتفه وقام ذاهبا إليه. دخل الغرفة وكان ضياء عاريًا تماما يصرخ: "يعم انت بقولك هاتلي البشكير من برا نسيته! بتخش لبيه!".

أمسك محمد فمه حيث كاد يتقيأ وخرج وأمسك المنشفة وألقاها على الأرض عند باب الغرفة ثم خرج ليجلس على المقعد في شرفة الشاليه.

- الله يقرفك..

أول مرة يرى أحدا عاريا أمامه، شعر بقرف مبالغ فيه حتى كاد بالفعل يتقيأ، لكنه أكمل القراءة. كانت قد ظهرت اللقطة المتحركة التالية لعقل إنسان قد نُزعت منه جزئية وكُتبت تحته: "صار مسح الذكريات في يد العلم، بتجربة مستوحاة من علماء ألمانيين تخصصوا في..".

ضغط على الإعلان ليرى ما الأمر بدلا من إكمال القراءة.

فُتحت صفحة اسمها (الصفحة الرسمية لمعمل ****)، وعلى جانب الصفحة زر صغير يضيء ويطفئ لجذب الانتباه مكتوب عليه: "أصبح العلم قادرا على مسح ذكرياتك!!".

ضغط عليها وبدأ يقرأ ذلك المقال:

"مرحبا بكم، يعمل معمل (***) منذ فترة طويلة على دراسة كل ما يتعلق بالذاكرة، وقد كتب المتخصصون به عشرات الأبحاث والأوراق العلمية عن الموضوع، يمكننا القول بأنهم كادوا يصلون إلى حد الكمال في معرفة كل شيء عن ذاكرة البشر. والآن لهم سابقة في المجتمع العلمي لم يسبقها إليهم أحد بالتعاون مع علماء ألمانيين، وهي أنهم يستطيعون تذكير المريض بكل ما نسي من ذكريات، واستعادة ما تم فقده سواء عن طريق النسيان العادي أو عن طريق مرض معين، والجزء الأكبر هو أنه –وبقدرة وخبرة لا تضاهى- يمكنهم حذف بعض ذكريات الشخص من عقله، عن طريق أجهزة تم تطويرها لهذا الهدف تحديدا، وقد أخبرنا بعضهم أنه يعملون على هذا المشروع منذ

حوالي ثمان سنوات، وقد وصلوا للمبتغى فيه الآن. تلك الأجهزة قد درسوها وعرفوها أكثر مما تعرف أنت اسمك. هذا المعمل يزعم أنه سينهي كل مشاكل العالم من الزهايمر والخرف والنسيان، ونصف مشاكل العالم من الذكريات الأليمة والـTrauma والصدمات العاطفية والنفسية التي ربما أوقفت حياة البعض وأدت بالآخرين إلى إنهاء حياتهم بالكامل."

ثم بدأ يثبت فعالية العملية قائلًا أن (عملية محو الذكريات) قد تمت تجربتها على بعض الحيوانات منها ثلاثة فئران، قائلًا أن هذه الفئران قد تم وضعها في متاهة متوسطة الصعوبة، وبعد نجاح الفئران في تخطيها مرات عديدة حفظوها وصاروا ينجحون في الخروج منها في المرة العاشرة في عشر ثوان تقريبا، بعدما ظلوا يحاولون في المرة الأولى لمدة دقيقة وأربعين ثانية تقريبا، وقال أن العدد ظل يقل في كل مرة حتى ثبت عند العشرة ثوان.

والتجربة الأخرى كانت على خنزيرين، وكانت تجربة مشابهة إلا أنه تم وضع دلوين مغطيين لهما، أحدهما أخضر فيه طعام والآخر أسود، وهو دلو فارغ. بعد عدة مرات صار الخنزيران يذهبان كل مرة مباشرة للأخضر، ثم قاموا بعملية حذف الذكريات حاذفين ذكرى الدلوين من عقل أحد الخنزيرين بعد وضع إشارات عقله تحت مراقبة أجهزتهم. وكذلك مع فأرين من الثلاثة.

وكانت النتيجة هي أن الخنزير الذي مُسحت ذكرى الدلوين من عقله ذهب عندما وضعوه في القفص ناحية الدلو الأسود ليكتشف ما به! في حين ذهب الخنزير الآخر للدلو الأخضر ليأكل ما به ولم يلتفت حتى للدلو الأسود لأنه "يذكر" أنه فارغ.

وكذلك الفأرين اللذين مُسحت ذاكرتهما. عندما تم وضع الثلاثة فئران في المتاهة انطلق الثالث (الذي لم تُجر على عقله العملية) ناحية نهايتها للحصول على مكافأته في النهاية، بينما تاه الفئران الآخران لمدة دقيقتين إلا خمس عشرة ثانية تقريبا قبل أن يخرجا مرتبكين.

ظل الطبيب يتكلم ويبرهن على أمان التجربة وأنها لا شوائب عليها، ثم كتب طريقة التسجيل والأماكن التي يتعاملون معها ويمكن الذهاب لأي فروعها للتسجيل معهم ورقيا بعد التسجيل إلكترونيا.

***

ارتعب محمد مما قرأ كما ارتعبت أنت الآن.. وكما ارتعبت أنا عند معرفتي عن هذا الأمر لأول مرة.. حذف ذكريات من العقل؟! ألهذا الحد وصلنا؟! لابد أن يتوقف تطور العلم اللعين هذا عند حد ما، صحيح؟! يا إلهي.. حسنا اعذرني ولكني لم أصدق الأمر عندما سمعت عنه لأول مرة حتى رأيت البرهان.. حسنا دعني لا أخرج عن الموضوع وأكمل معك ما حصل..

برغم ارتعاب محمد لدقيقتين أو شيء كهذا، إلا أن الحماس ضرب قلبه بعدها، يمكنه نسيان كل ما يؤلمه! يمكنه نسيان الأمر تماما! أراد معرفة ماذا قيل عن هذه التجربة فلم يجد أي شيء عنها عندما كتب عنها في خانة البحث، لم يجد سوى الموقع الرسمي للمعمل. قرأ تاريخ المقال فوجد أنه قد نزل اليوم صباحا، منذ عدة ساعات في الحقيقة!

دخل على صفحة التسجيل وعرف أنهم يطلبون عدة بيانات وكتبوا أن الذي ستجرى عليه العملية (وهي تعتبر أنها في مرحلة التجربة) لن

يدفع أي أموال، بل سيتلقى مبلغا ماليا، طبعا لأنهم يريدون البدأ في التجربة وكثير من الناس سيرفض أن يعبث أحدهم بعقله، فعلموا أنهم يحتاجون إلى حافز ما.

لم يهتم محمد بالمال، أراد فقط التخلص من ذكرياته التي دمرت روحه.. وحذفت شخصيته.. وقتلت جمال قلبه.

بدأ يدخل البيانات ثم انتبه إلى حجم ما يفعله، عملية؟! تجربة طبية؟! بحق الله ما الذي يحدث هنا؟! أغلق الصفحة بسرعة وقام ليجلس مع صديقه الذي ارتدى ملابسه.

***

جلس ليلا على مقعد الشاليه الأمامي على ضوء القمر يستمع إلى بعض الموسيقى، بينما كانت مروة على سريرها تستمع كذلك إلى:

"قوم ياللي شاغلني بيك.. جرب ناري..".

بينما نزلت دمعتها أحرقت خدها.

مر ضياء من خلفه مخبرا إياه أنه عليه النوم لأنهما سيرحلان غدا صباحا لأن والده سيحتاج الشاليه في الأيام القادمة. قام محمد وأغلق الموسيقى وألقى بالسيجارة على الأرض وداس عليها وقام إلى سريره، تضايق من نفسه أنه بدأ بالتدخين من عدة أيام ولكنه.. لا يشعر أنه يريد التوقف الآن.

دخل الشاليه ومر في الرواق ووصل إلى غرفته الضخمة ذات المرتبة الموضوعة على الأرض والنافذة الكبيرة التي نظر القمر من خلالها إليه متمنيا له نوما هانئا وأحلاما سعيدة.

رمى جسده على المرتبة متضايقا أنه سيرحل عن هنا غدا، بينما تجاهلت عيناه أفكاره وأغلقت منهية يوما تعيسا آخر.

***

سأل أحد رجال المعمل المسؤول عن الموقع عن عدد من قدموا للتجربة، أخبره أن شخصين فقط هم من قدموا، أخبره أن يبقي الوضع على ذلك ويخبر مسؤول الإعلانات أن لا يدع الإعلان ينتشر أكثر من اللازم، "لا نريد ضجة لا داعي لها" هو ما قاله له.

- الإعلان بيتم توجيهه بناء على اللي استخدموا الكلمات المفتاحية المتعلقة بالموضوع بس صح؟

- تمام آه، (نسيان - ذاكرة - Trauma - صدمة نفسية – وهكذا..)، وفي قليل من المقالات اللي بتتكلم عن المواضيع دي تحديدا.

- تمام، هاتلي بيانات اللي سجلوا دول.

***

شارع واسع مليء بالسيارات والأبراج الضخمة، وقف على رصيفه مبتسما ينظر في ساعته، الخامسة بعد العصر، بدأ ينظر يمينا ويسارا حتى رآها قادمة، ترتدي طرحة زرقاء بلون السماء الصافية، وعلى

وجهها ابتسامة تحيي الموتى، تقترب منه وقد سعدت جدًا حين رأته، بدأ يتحرك ناحيتها وهي تجري ناحيته فاتحة ذراعيها. بدأ قلبه يتسارع وهو يهتف: "فريدة! فريدة!"، حتى لاحظ أنها لا تقترب منه، وأنه كلما جرى ناحيتها لا يجد أنه يقترب.. بل يبتعد! إنها تبتعد! لا..

بدأ يجري أسرع ويتعرق، وهي تبدو كأنها تجري ناحيته ولكن المسافة بينهما تزداد!

- فريدااا! فريدااااااا!

هتف ضياء محركا إياه:

- محمد اصحى يا محمد! محمد! ده كابوس قوم مفيش حاجة.

فتح عينيه بينما تلاشت من أمامه ورأى وجه صديقه ضياء. ظل يتنفس بصعوبة بينما غطى وجهه العرق، كأنه كان بالفعل يجري.

جلس بعدها على مرتبته بعينين متسعتين وبدأ يعيد التفكير في مسألة الانتحار تلك، بينما ذهب صديقه ضياء ليحَضِّر له مشروبا ليهدئ أعصابه.

بدأ يرتعش وهو يفكر أنه لابد من حل.. لابد من حل.. هذه هي المرة السابعة التي يستيقظ فيها وهو يصرخ بسبب رؤيته لها في الشهرين الفائتين.

ضربت الفكرة رأسه مع قرار عازم، فتح الموقع، أدخل بياناته، وضغط: "أوافق على الشروط والأحكام"، وقام إلى صديقه في المطبخ ليفطرا سويا.

***

- في اتنين كمان سجلوا يا أفندم.

- الاتنين اللي فاتوا دول وضعهم إيه؟

- واحد منهم أدخل بيانات خاطئة والتاني بنتواصل معاه ولسه مردش.

- طيب والجداد دول وضعهم إيه؟

- واحد اسمه.. محمد، والتاني مصطفى، ولدين.

- اتواصل معاهم وحاول تنجر شوية.

- حاضر يا افندم.

***

أنهى محمد وضياء الإفطار وشرب الليمون ليهدأ ثم جلس أمام الشرفة للمرة الأخيرة قبل أن يرحلا.

اتصل بوالدته مخبرا إياها أنهما عائدان، سعدت جدا باتصاله بها وظلت تدعو له أن يصبح ويظل دائما بخير.

جهزا الحقائب ووضعاها في السيارة التي يملكها والد ضياء، بعد أن جهزا كل شيء وصل الخادم وأخبره ضياء أن ينظف كل شيء ويجعله كما كان، ثم ركب ضياء في كرسي السائق وركب محمد في الخلف ليمدد جسمه وانطلقا عائدين إلى الجيزة.

***

- جهزتو كل حاجة؟

- آه، استنى أشوفها.

دخلت على فريدة في حجرتها وسألتها:

- جاهزة يا فريدة؟

- آه.

- طيب يلا يا حبيبي، هاتي شنطك وتعالي.

***

طارت السيارة يقودها ضياء وهو يرقص مع الفتاة الجالسة في الكرسي بجانبه التي اتصل بها وأخذها معهما بعد الابتعاد عن الشاليه قليلا. لم يعلم محمد من هي ولم يسأل ولم يهتم في الحقيقة. ظلا يرقصان ومحمد في المقعد الخلفي قد تمدد غير مبال بما يدور حوله.

"يوم تلات تلات..".

وهو يتذكر كيف كان يرقص ويمرح كما يرى صديقه الآن.

مر الكثير من الوقت حتى قارب ضياء ومحمد على الوصول إلى الجيزة، لولا ذلك الزحام اللعين. توقف الطريق لسبب ما، يبدو أن هناك حادثة، أو أن سيارات الشرطة أوقفت السيارات لسبب ما.

جلس محمد ينظر من النافذة واللامبالاة كالعادة على وجهه، وبدت عيناه أكثر تعبا مما هي عليه، طريق طويل لعين..

- محمد.

- هاه..

- هتعمل إيه لما تروح؟

- مش عارف.. ممكن أروح أقعد في أي مكان، مش عاوز أرجع البيت.

- هتروح فين؟

- معرفش، ممكن أروح كـ..

شيء ما أسكته وجعل عيناه تركزان أضعاف المعتاد بينما سرت رعشة في جسده، هل..

- دخلي يا فريدة راسك يا ماما.

- يا بابا الطريق واقف أصلا.

- اسمعي بس الكلام.

تنهدت قائلة:

- طيب.

نظر حوله ثم فرك عينيه الناعستين.

- مالك يبني؟

- د.. دي.. ا..

ابتلع ريقه بصعوبة بينما نظر إليه ضياء متعجبا قبل أن تسير السيارات قليلا ويبدأ الطريق في التحرك، ومحمد ما زال مركزا عينيه بعدم تصديق.. وكأنه رأى الموت بعينه.

بدأت السيارة تسير وانفتح الطريق بينما سأل ضياء محمد من جديد:

- يبني مالك؟! فيك إيه؟ اتشليت؟

- أنا.. ا.. مفيش.. تعبان بس من المشوار.

بينما ينظر خلفهما إلى السيارة التي ظن أنه رآها بها.

- ومالك سرحت كده؟

التفت إلى صديقه الذي ينظر إليه من المرآة وقال:

- لا لا مفيش.. اتهيألي حاجة بس..

- الله يعينك يا صديقي على اللي انت فيه ده..

تنهد محمد ثم ارتمى على المقعد خلفه ونظر من نافذة السيارة إلى السماء.. يتمنى لو يصعد إليها ويرتاح..

***

(5)

أبطأت السيارة بينما وصلته رسالة على هاتفه من معمل ما، لابد أنه إعلان تعيس، وضع الهاتف في جيبه بينما بدأ ضياء يركن أمام مطعم ما في الجيزة ليأكلوا.

- هتاكل إيه يا محمد؟

- أي حاجة.

أمسك بيد الفتاة ودخلا إلى المطعم بينما انتبه محمد فجأة.

- معمل؟!

فتح الرسالة.

"مرحبا محمد مروان! يسر معمل (***) إعلام حضرتكم أن طلبك لإجراء عملية Fkz-23 قد تم قبوله.

كود العملية: A-28

يرجى التوجه إلى فرع المهندسين للمعمل بعنوان (*** ** ****) لبدء الاختبارت قبل مرور خمسة أيام على هذه الرسالة.

ساعات العمل: 11 صباحا – 7 مساء

معمل (***)، مصر.".

ارتعب قليلا وتوتر ثم تحمس، ثم عاد توتره..

- خد جبتلك اتنين برجر.

أعطاه الكيس من النافذة الخلفية قبل أن يركب السيارة بينما جاءت الفتاة خلفه تضحك وركبت بجانبه.

"ساعات العمل: 11 صباحا – 7 مساء"

نظر في الساعة وكانت الحادية عشرة صباحًا.

- ضياء معلش في مكان عاوزك تودّيني عليه قبل ما تروح..

- انت مش رايح بيتك يبني؟

- لا ما قلتلك مخنوق شوية كده، هروح مكان أروق فيه كده.

- مكان فين؟

- المهندسين.

تنهد ضياء ثم قرر ألا يسأل.

- طيب يا محمد.

***

- الواد بقى عامل إيه يا هويدا؟

- أهو الحمد لله بيتحسن، سافر مع صاحبه اسكندرية قعدوا كام يوم وفرفش شوية وراجعين النهاردة بإذن الله.

- طيب الحمد لله.

سكتت قليلا ثم قالت:

- انت مش نازل مصر قريب؟

- لا قريب لأ.

- طيب تبقي تيجي بالسلامة..

- بإذن الله، يلا سلام.

مرت عدة ثوان قبل أن تجيب:

- سلام..

قبل أن تجد أن المكالمة قد انتهت بالفعل.

***

- هنا؟

أشار محمد من المقعد الخلفي.

- آه عند الكافيه ده هقعد هنا.

ركن ضياء السيارة ثم قال بينما يخرج محمد من السيارة:

- خلي بالك من نفسك يا صاحبي.

- تسلم يا حب، ربنا ميحرمنيش منك.

- هتعرف تروح من هنا ولا أبقى أجيلك؟

- حبيبي تسلملي، لا هعرف يا حب تسلم أنا باجي هنا كتير أصلا.

- تمام يا حبيبي سلام.

انطلق ضياء بالسيارة بينما تظاهر محمد أنه سيدخل الكافيتيريا حتى ابتعد ضياء بالسيارة بعيدا. كذب محمد حين قال أنه يأتي إلى هنا، هذه أول مرة يرى هذا الشارع، وإنما جعل ضياء يركن عند الكافيتيريا لقربها من المعمل لا أكثر، لم يُرد أن يعرف أحد عما سيفعل.

مبنى ضخم جميل الشكل راقٍ، محاط بالسيارات الفارهة المركونة حوله. بدأ يسير ناحيته في قلق وهو يتمنى لو كان معه أحد، لكنه لم ولن يخبر أحدا بهذا الأمر.

وصل عند البوابة الزجاجية وفتح الباب بينما رأى ضخامة المبنى من الداخل.

- اؤمر يا افندم رايح فين؟

سأله حارس البوابة فتوتر محمد وقال:

- آ.. أنا بعتت للـ.. بعتولي رسالة قالوا تيجي النهاردة.

- رسالة بتاعت إيه؟

- الـ..عملية.. لحظة واحدة.

أخرج هاتفه وقرأ بينما يُري الرجل.

- أهو FKz-23.. والكود بتاعي A-28..

سكت الرجل قليلا بينما يقرأ ثم قال:

- لحظة واحدة خليك هنا.

ثم انطلق ناحية هاتف الاستقبال وتكلم في الهاتف قليلا وضحك قليلا ثم عاد مبتسما إلى محمد وقال:

- اتفضل يا افندم.

بدأ محمد يتحرك ناحية الدرج بينما نادته موظفة الاستقبال:

- أستاذ!

توقف والتفت إليها قائلا:

- نعم؟

- ممكن لحظة واحدة؟

- تمام..

ذهب إليها فأخرجت بعض الأوراق وسألته:

- ممكن كود العملية لو سمحت؟

- آاا.. A-28..

- تمام، الاسم؟

- محمد.. محمد مروان الحي..

- تمام، ممكن بطاقة حضرتك؟

بدأت تتأكد من بياناته ثم وضعت بعض الورق أمامه وطلبت منه توقيعه.

- وهنا عند العلامة دي.

- تمام..

- وفوق في أول الصفحة.

وبعد أن أتمت كل ذلك نادت على شاب صغير يعمل هناك وقالت:

- خده لـ(B -17).

- تمام، اتفضل.

أخذه الشاب وبدآ يصعدان الدرج، بينما سأله الشاب:

- انت هتعمل FKz-23؟

انتبه محمد من شروده قائلا:

- هه؟

- هتعمل FKz-23؟

- آها..

ظل الولد ساكتًا ثم قال:

- الله معك..

تعجب محمد من رد الشاب ولكن تفكيره الكثير شغله عن كل شيء.. سيجري عملية.. على عقله.. لحذف ذكرى! كم أنه شيء مهيب ومخيف..

***

تمر السيارات مسرعة وتمر أعمدة الإنارة، والسحاب، ويمر الزمن معهم جميعا. تنظر من نافذة السيارة التي يقودها والدها مسرعا بينما نامت زوجته على الكرسي المجاور له، تتذكر عندما..

- طب ما نروح سوا!

- ازاي يعني يا محمد؟

- حبيبي ننزل الصبح ونرجع بليل، وأنا معاكي.

ضربته في كتفه قائلة:

- بس يا عبيط انت، هنسافر ازاي سوا يعني؟

- خلاص هسافر لوحدي.

نظرت إليه بحزن قائلة:

- وهتسيبني؟

نظر إليها باسما يتمالك ضحكه بينما ضحكت هي وهو يقول:

- لا خلاص هجبلك البحر هنا.

- مبسوطة يا فريدة؟

- البحر بيفكرني بعنيكي..

- اشمعنا؟

- الاتنين بخاف اغرق فيهم..

- فريدة!

انتبهت إلى والدها الذي ينظر إليها من مرآة السيارة وقالت:

- هه؟

- مبسوطة؟

- الحمد لله على كل حال..

ظل ينظر إلى وجهها الحزين ولا يدري ماذا يفعل، أتعبه وجهها الحزين الذي ينظر من النافذة الجانبية ويبدو أنها قد شردت في شيء ما.. ابنته الحبيبة.. يقسو عليها لكن.. لمصلحتها! أو على الأقل هكذا

يظن.. ويبدو أنه شرد هو الآخر، لأنه لم يرَ السيارة الكبيرة المسرعة التي خرجت عن الطريق وتتجه ناحيتهم بسرعة رهيبة.

***

غرفة معمل جميلة واسعة، في منتصفها سرير كسرير طبيب الأسنان، وحوله الكثير والكثير من الأجهزة المتقدمة التي لم يرها محمد إلا في الأفلام.

- استنى هنا والدكتور جايلك حالا.

- تمام..

ظل واقفا ينظر حوله، سبورة بيضاء عليها كتابات كثيرة، نافذات ضخمة أدخلت الشمس بغزارتها إلى كل أنحاء المعمل الغالب عليه البياض.

- السلام عليكم، محمد؟

نظر بجانبه ورأى الذي دخل لتوه، طبيب حسن المظهر قصير شعره يرتدي معطفًا أبيضًا على قميص وبنطال أسود، بدا كالأطباء في الأفلام الأجنبية! في الحقيقة بدا أجنبيا هو نفسه.

- آها.. ازي حضرتك.

- تمام، المهم انت تكون تمام.

ابتسم محمد وقال:

- الحمد لله.

تحرك الطبيب ناحية السرير الصغير الذي تحيطه الأجهزة وقال:

- تعالى يا محمد، اتفضل.

ذهب محمد ناحية السرير متوترا ثم أخبره الطبيب أن ينام على السرير ففعل ذلك.

نادى الطبيب مرتين على شخص يدعى (علاء) ولم يجب أحد، فاستأذن وذهب ليجده.

ظل محمد ينظر إلى الأجهزة حوله، يشعر أنه سيتم عليه شيء خطير جدا، أراد الهرب والقفز من تلك النافذة، ولكنه اختار ذلك بنفسه.. لن يخرج إلى تلك الحياة التعيسة على كل حال حيث.. حيث يريد قتل ذاته.

دخل الطبيب وخلفه طبيب أصغر منه سنا، ولكن الثاني يبدو مصريا جدا.

- يلا على الجهاز؟

رد محمد:

- أنا؟

ابتسم الطبيب وقال:

- لا أنا بكلم علاء، انت كل اللي عليك استرخي خاالص.

أسند محمد رأسه إلى الخلف وبدأ يتنفس ببطئ من أنفه بينما علق الطبيب:

- شااطر.

مرت عدة دقائق حتى هتف الطبيب:

- يلا؟

قال علاء:

- قرب يجهز أهو.

- تمام.

حمل الطبيب شبكة تشبه شبكة الشعر من خلفه مليئة بالأسلاك والقطع المعدنية ووضعها ببطئ على رأس محمد، حول رأسه في الحقيقة.

شعر محمد ببرودة في جسده وقليل من الخوف في قلبه بينما قال الطبيب:

- دي يا محمد بتلقط إشارات مخك، تمام؟ متخافش منها دي مفيهاش خطر.

رد بصوت مرتعش:

- تمام..

هتف الطبيب:

- يلا؟

بينما رد الآخر:

- تمام يا دكتور.

ذهب الطبيب ليتفحص ما على الجهاز وقال:

- كويس.. كويس جدا.

ثم عاد وجذب كرسيًّا صغيرًا وجلس بجانب رأس محمد وقال بصوت حنون بالقرب من رأسه:

- انت في ملفك انك اتعرضت لصدمة عاطفية كبيرة عملتلك أزمة نفسية مش قادر تتخطاها صح؟

- تمام..

- مأثرة عليك في حياتك بدرجة كام من واحد لعشرة؟

- خمسة عشر.

اندهش الطبيب وهو يقول:

- ياااه! للدرجة دي، ده انت رومانسي كبير بقى.

ابتسم محمد بينما أكمل الطبيب:

- وقلت في (أشياء أخرى) تحب تنساها، ممكن تقولهالي ولا خاصة؟

- اممم.. أحب تكون خاصة.

- تمام.

أشار إلى علاء بيده ثم قال لمحمد:

- عاوزك يا محمد تفكر كويس كويس جدا في أكتر مواقف كانت بينك وبينها، أكتر مواقف بتوجعك.

- بين مين؟

- حبيبتك.

- حبيبتك.

- انتي يعني؟

- وانت عندك حبيبة غيري؟! بيخوناااااي يا عمو مروان.

- هههههه، عمو مروان مريح دماغه سيبك.

- هاه هتروح من غيري؟

- وهو أنا بقيت أتحرك إلا معاك يا جميل؟

- والله ما أعرف كنت هتعيش ازاي من غيري.

سكت قليلا ثم قال:

- طب والله عندك حق..

- هاه..

- بـ.. بفكر..

- افتكر أكتر لحظات حلوة ما بينكم، أكتر حاجات بتوجعك.

- أنا عمري ما هتحب..

- أنا بحبك يا فريدة!

أشار الطبيب إلى علاء بإشارة معينة وأومأ علاء إليه برأسه بينما أكمل محمد التذكر.

- محمد أنا..

- هاه.

- حبيت نفسي بسببك..

ابتسم قائلا:

- فعلا؟

- آه.. و.. حبيتك انت.. انت.. انت فيك كل حاجة حلمت بيها.. بجد!

أمسك يدها قائلا:

- وأنا بحبك.. عمري ما..

مرت عدة ثوانٍ ثم قال الطبيب:

- بتفتكر يا محمد؟

- عمري ما.. عـ..

- امم.. متشوش بس شوية.

- حاول يا محمد تفتكر نفس الذكرى دي اللي كنت بتفكر فيها.

- حاضر..

- محمد أنا..

- هاه.

- حـ..

- محمد أنا.. مـ..

- إيه ده مش عارف أفكر! كانت لسه في بالي والله!

- افتكر حاجات تانية متعلقة بأصل علاقتكم.

- صعب يا فريدة.. شغل كتير، هنا كنت هشرح اللي عارفه والأمور سهلة وخلاص.

قام الطبيب ووقف بجانب علاء وهو يقول: "يلا"، بينما لم يسمعه محمد وهو يتذكر أهم ذكرى بينهما.

- ما معلش والله مش هينفع، اللي كنت هتقوله ا.. ا.. ا..

- شديدة عليه دي..

انتبه محمد فقال:

- إ.. إيه؟

بينما أردف الطبيب:

- لا كمل كمل، فكر في نفس الذكرى دي.

- معلش هعمل مكالمة وهرجعلك تكون..

- ماشي مـ..

رد محمد مندهشا:

- عمال أنسى يا دكتور!

ابتسم الطبيب سعيدًا وقال:

- أيوة أومال انت هنا ليه؟

ثم اقترب منه وجلس على الكرسي بجانبه من جديد وقال:

- هي دي أنهي ذكرى آخر واحدة دي يا محمد؟

- ذ.. ذكرى تعارفنا..

اقترب الطبيب من رأس محمد وقال هامسا بينما أشار بيده لعلاء:

- اتقابلتوا ازاي يا محمد؟

ظل محمد يحاول التذكر.

- الـ.. الجامعة؟ آ.. كانت.. كنت أنا رايح ا.. أحضر محاضرة؟ مش فاكر..

- شكلها عامل ازاي؟

قام الطبيب حينها ووقف بجانب علاء على الجهاز بينما يضغط الآخر على عدة أزرار وهو ينظر إلى الشاشة.

- شكلها..

- عيونك البني دول ووشك الـ..

هتف الطبيب:

- هاه شكلها إيه يا محمد؟ اوصفهالي.

- عـ.. عينيها.. ا..

- هي تخينة ولا رفيعة يا محمد؟

كلما حاول تذكر شكل لها في ذكرى اختفت من أمامه ونسي كيف كانت.

ابتسم الطبيب وهو ينظر إلى الشاشة وقال لعلاء:

- احذف كل اللي في الدائرة دي، في نمط بدأ يظهر أهو.

مرت عدة ثوانٍ بدا على محمد التشتت والخوف وبعض القلق فيها بينما بدأت يده ترتعش، وسأله الطبيب وهويقترب منه ببطئ:

- محمد.

رد محمد بخوف:

- نعم..

- اسم حبيبتك كان إيه؟

***

اتصلت الأم هويدا بضياء ورد قائلا:

- أمي.

- ازيك يا ضياء، هاه انتوا فين؟

- أنا مروح خلاص، محمد نزل عند كافيه كده وقالي هقعد هناك.

اندهشت قائلة:

- طيب يا ابني أنا مش قايلالك يفضل معاك لحد ما يجيلي؟!

- معلش يا أمي والله نسيت أصلا وهو كان عاوز يروق وكده ومش عاوز يرجع على البيت على طول فعشان منضغطش عليه نفسيا وبتاع..

تنهدت الأم هويدا وقالت:

- طيب أنا هرن عليه أنا دلوقتي.

***

- اسمها إيه يا محمد؟

- أ.. آ.. فـ.. فـ.. منى؟ آ.. هـ.. ؟ مـ.. ر.. أ.. مش فاكر.. مش فاكر بجد!

ابتسم الطبيب ثم قال ببطئ:

- افتكر كل حاجة حصلت بينك وبين البنت اللي كنت بتحبها يا محمد، وبعدين فكر في كل اللي كنت عاوز تنساه، وعلاء معاك.

ثم خرج من الغرفة بينما أكمل علاء ضغطه على أزرار الجهاز الموصول بإشارات عقل محمد وهو في قمة تركيزه.

- محمد أنا..

- حضرتك مـ..

- فـ..

- المادة دي صـ..

- نجحـ..

- بحـ..

- محمـ..

- محـ..

- مـ..

-...

بدأ يتذكر كل ما أراد محوه من حياته، وكلما فكر في شيء وآلمه اختفى من عقله تماما.

قاطعت محاولات تذكره وقاطعت عمل علاء الدقيق رنة هاتف عالية كادت توقف قلب علاء.

"مقدرش عالنسيـ..".

- دكتور مايكل!

صرخها علاء وهو يجري ناحية الهاتف مُصدر الصوت ليغلقه بينما تشنج جسد محمد فجأة وبدأ يرتعش بقوة. انفتح فمه بشدة مهتزا هو الآخر بينما بدأت رأسه تصفر، وارتفعت عيناه إلى أعلى واهتز جسده بالكامل بشدة كالذي صعقته كميات قاتلة من الكهرباء.

***

- رد يا محمد يا ابني رحت فين بس..

ظلت تنظر في الشاشة بقلق قائلة:

- طمني يا ابني متقلقنيش عليك..

***

جاء الطبيب مايكل يهرع إلى الغرفة بينما وجد علاء يكاد يبكي وقد أغلق الهاتف ونزع الشبكة من على رأس محمد.

- تـ.. تليفونه رن..

صرخ الطبيب فزعًا:

- انت مجنون؟! كان معاه تليفون؟! الإشارات الـ..

- عارف عارف..

قالها علاء بينما بدأ يبكي وقد جلس على الأرض وأردف:

- أنا قايلهم في الريسبشن التليفونات تتاخد تحت والله، وقايل لعم عادل كمان في الدور هنا لو لقاهم نسيوا ياخدوه ياخده هو.. نسيت خالص أتأكد والله والله.

كان الطبيب مايكل ينظر بغضب عارم إلى علاء الذي جلس على الأرض ممسكا برأسه يبكي كالأطفال وهو ينظر إلى محمد الذي ظل يتشنج ويهتز وعينيه قد صعدتا إلى أعلى بينما ترتعش شفتاه، ثم اقترب الطبيب من محمد ليفحص حالته بنفسه.

على عينيه نظرة رعب واسعة وقد فُتحت عيناه بشدة وبؤبؤي عينيه قد ارتفعا ناظرين إلى أعلى ما يمكن، بينما انفتح فمه وبدأ يسيل لعابه على وجهه، وأصابع يديه ورجليه قد تخشبت مشدودة.

***

- يا فريدة العالم ده مش بتاعنا.

- صح..

- انتي من الجنة أساسا.

ابتسمت وهي تضع يدها على كتفه قائلة:

- وإيه كمان؟

نظر إلى النهر أمامهما وقال:

- عايز نروح بعيد في المحيط ونعيش على جزيرة سوا، العالم ده مش بتاعنا.

- على أساس الجزيرة دي هتكون في بعد زمني آخر؟

ضحك ثم رد:

- بلاش غلاسة، بجد والله نفسي آخدك ونروح عالم تاني.

- وأرواحنا تتقابل هناك.

- احنا معدناش روحين، احنا روح واحدة يا قلبي.

- اللي بيجرالك بيجرالي..

ابتسم مرددا وراءها:

- اللي بيجرالك بيجرالي..

- يوم ما يجرالي حاجة هتجرالك، فخلي بالك مني بقى.

أمسك يدها قائلًا:

- أنا كده كده هخلي بالي منك يا روحي.

سكتت قليلًا ثم تساءلت:

- لو روحينا مرتبطين هو ده معناه ان لما حد مننا يموت التاني هيقع ميت أوتوماتيك وقتها؟

نظر إليها بلوم فقالت:

- مش بقول علينا.. حاسة بس انه هيكون في نفس اليوم، بترتيبة من القدر، أصلا مظنش حد فينا هيقدر يعيش بعد موت التاني أصلا.

- مبتفكريش إلا في أفكار غريبة دايما كده؟

***

ربما كانت فكرة غبية من محمد أن يحاول انتزاع ذكرى من عقله بهذا الشكل، ربما هذه ليست الطريقة المثالية، صحيح؟ على العموم كانت حياته تعيسة على كل حال وكاد ينتحر.. لا أدري.. لا أعلم أين الحق في هذه المسألة، ما أعرفه وأحمد الله عليه أن محمد لم يمت على ذلك السرير في معمل (***).

- تنفسه وصل للطبيعي.

خد احقنه بده بسرعة على ما أجيلك حالًا.

قالها الطبيب مايكل قبل أن يجري مسرعا خارج غرفة المعمل مغلقًا الباب وراءه.

ظل محمد ممددا على السرير على حالته وجسده بدأ يهدأ قليلا، عينيه حبيبي لم تبشرا بالخير، نظرات عينيه المرعوبة، تجعلك تتساءل، ما الذي كان يفكر به أو يحلم به في هذه اللحظة..

- ولو كان العالم ينتهي..

ابتسمت حيث أكمل يغني تلك الأغنية الأجنبية:

- والشموس تتساقط. والكواكب تنهار.. لن أبتعد عنكِ.

ابتسمت وهي تنظر إليه وقد شرد في السماء مكملًا:

- وستسقط المباني وتحترق النجوم، ويبتلع الخوف الناس، لكن ليس أنتِ.. لأنكِ ستكونين في حضني حبيبتي، أحميكِ بروحي..

رددت وراءه مبتسمة:

مرت حوالي ساعة ظل الطبيب يحاول إصلاح حالته فيها بينما لم يدع أحدًا يعلم بما حدث، إلا أنه قدم شكوى في مسؤولي الاستقبال على تركه يصعد وهاتفه معه، إذ علم الجميع أن إشارات الهاتف قد تتداخل مع عمل الجهاز وتفسد العملية كلها، غير أنهم لا يريدون أن يلتقط أحد أي صور لما بالداخل.

بدأ جسده يهدأ وترتخي أصابعه وأغلق الطبيب فمه ببطئ وبدأت عيناه تعودان إلى الوضع الطبيعي.

- محمد..

لم يستجب فبدأ الطبيب يضع القليل من الماء البارد على رقبته وهو يكرر:

- محمد.. انت سامعني؟

بدأ يفتح عينيه ببطئ ولسانه يكرر:

- مقـ.. مقدرش..

- محمد.. سامعني يا محمد؟

- مـ.. انت مين؟

- أنا دكتور مايكل يا محمد، انت في معمل (***).

بدأ علاء يشعر برعب شديد وبدأت أصابعه ترتعش وهو ينظر إلى محمد بخوف.

فتح محمد عينيه ببطئ وبدأ يرى بشكل مشوش.

- محمد.. محمد أنا دكتور مايكل وده دكتور علاء، انت كنت بتعمل عملية (FKz-23) يا محمد.

بدأ يرى وجه الطبيب بوضوح بينما ردد لسانه بتعب وبطئ:

- FKz؟

- أيوة يا محمد، عملية محو الذكريات فاكر؟

سكت قليلا وهو ينظر حوله ثم قال:

- أ.. آ.. اه اه.. كنت.. عاوز أنسى؟

- أيوة، عملنا العملية خلاص.

ظل ينظر حوله بتعجب ثم عندما حاول الاعتدال والجلوس شعر بصفير في رأسه تبعه صراخ دوى في المبنى ووصل إلى الطابق العلوي.

***

- مش عارفة يا مروان لما اتصلت بيه قفل تليفونه!

- وبعدين بقى في الواد ابن الكلب ده!

- يا مروان براحة عليه الواد حالته النفسية زي الزفت..

- إيه يعني اللي عمل كل ده؟! حد عامله سحر يعني؟ مرة واحدة كده اكتئب وعايز يموت نفسه؟!

- أنا لقيته كاتب حاجات بالدم على حيطته يا مروان، أنا خايفة على ابننا..

ضحك قليلا فسألته:

- بتضحك على إيه بس دلوقتي؟!

- أصلك بتقولي (ابننا).

- طب ما هو..

- ابنك انتي يا هويدا.

- يا مروان ا..

لم تكمل حيث سمعت صوت إنهاء المكالمة.

***

- كام صوباع دول يا محمد؟

- تـ.. تلاتة..

- وانا اسمي إيه؟

- دكتور ا..

- هاه..

- اممـ.. مايكل؟

- وده مين؟

نظر إلى الآخر الذي كاد يبول في سرواله وقال:

- دكتور علاء؟

ابتسم قائلا:

- وانت اسمك إيه؟

- محمد.. محمد مروان.

- ووالدتك؟

- اا.. هويدا.

- محمد.

- نعم..

- انت حبيت قبل كده؟

حاول الاعتدال وهو يقول:

- إيه السؤال ده يا دكـ..

أمسك به الطبيب وأنزل رأسه على السرير من جديد قائلا:

- خليك بس نايم متقومش، هاه حبيت قبل كده؟

سكت قليلا ثم قال:

- مفتكرش لا.. ممكن في ابتدائي كنت بحب بنت معايا في الفصل.

ابتسم الطبيب وقال:

- في فترة الجامعة حبيت حد؟

بدأ يحاول التذكر قبل أن يتشنج وجهه ويركز قليلا فسأله الطبيب مسرعا:

- مالك يا محمد؟

لم يجب فهز الطبيب رأسه وقال:

- محمد! صحصح.

- أ.. ا.. الجامعة لا.. لا..

- ليك اصحاب قريبين منك؟

فكر قليلا ثم قال:

- لا.. قريبين لا..

- تمام، خليك ممدد كده لحد ما أعمل حاجات وأجيلك.

خرج الطبيب بينما جلس علاء ينظر إليه وعلى عينيه نظرة راحة تبعت أمواجا من القلق والرعب..

***

ولو كان العالم ينتهي..

والشموس تتساقط، والكواكب تنهار.. لن أبتعد عنكِ.

وستسقط المباني وتحترق النجوم، ويبتلع الخوف الناس، لكن ليس أنتِ.. لأنكِ ستكونين في حضني حبيبتي، أحميكِ بروحي..

(6)

وصل محمد إلى بيته ومعه الشاب الذي أرسله الطبيب معه ليتأكد أنه وصل إلى بيته آمنا، شكره محمد وهو ينزل من السيارة قائلا:

- خلاص أنا بيتي هنا أهو، شكرا..

ابتسم الشاب وأكمل طريقه تاركا محمد واقفا أمام شارعه.

بدأت رأسه تؤلمه قليلا عندما بدأ بالمشي فاتجه إلى أحد الأرصفة وجلس عليه ممسكا برأسه مغمضًا عينيه. وبدأ يردد لنفسه:

"في حاجة ناسيها.. أو.. مش فاكر.. هو أنا كنت زعلان؟ أنا.. أنا مش عارف.. مش عارف..".

- محمد! انت جيت!

نظر أمامه فوجد مروة قد ألقت بحقائب الخضراوات على الأرض واتجهت ناحيته مبتسمة تقول:

- عامل إيه؟!

ابتسم وقال:

- الحمد لله.

- إيه يا عم طولت في سفرك، العمارة ملهاش طعم من غيرك.

ضحك وهو يقوم قائلًا:

- طب شوفي الأوطة اللي رمتيها يا حاجة انتي.

ضحكت وجمعت أشياءها في الحقيبة ووقفت قائلة:

- مالك كنت تعبان ولا إيه؟

- لالا.. السفر بس..

ابتسمت ابتسامة عذبة قائلة:

- يا رب تكون اتبسطت.

- الحمد لله.

- يلا سلام.

أخذت حاجياتها وابتعدت وهو ينظر إليها و.. يشعر بـ.. بأنه.. يحب تلك الفتاة!

***

- اللي حصل ده ميوصلش لحد! فاهم؟!

- أكيد يا دكتور.

- العملية تمت بنجاح، بس كده متنطقش بكلمة تاني.

- أكيد يا أفندم.

سكت قليلا ثم تنهد وقال:

- الأولى والتالتة زفت..

متذكرا أول من أُجريت عليه العملية، الذي فقد ذاكرته بالكامل عن طريق الخطأ.. ونسي حتى اسمه! دفعوا تعويضا ماليا ضخما لعائلته مقنعين إياهم أنه سيتذكر مع الوقت، ولم يستطع الأهل فعل أي شيء إذ قد وقَّعوا على الأوراق التي تنص على أنهم مسؤولون مسؤولية كاملة عن أي شيء يحدث متعلقا بالعملية، والمخيف أن الأهل هم من طلبوا عمل العملية لابنهم! ولا يعلم أحد ما الذي أرادوه أن ينساه..

***

- محمد اوعى تنساني..

ربت على كتفها وهي تبكي بينما قال:

- يا بنتي مش هتموتي ارحمينا بقى.

- مش عارفة حاسة بده ليه.. وشفت أحلام كتير معناها كده.. اني هموت صغيرة..

- فوفا..

نظرت إليه بحزن وسط بكائها قائلة:

- إيه؟

- سأحميكِ بروحي.

ابتسمت وقالت:

- بس بقا.

- مامتك هتتجنن وتشوفك، وحشتها أوي.

قال بينما يصعد على السلالم وهي أمام باب شقتها:

- يلا هطمنها أهو..

ثم ابتسم إليها بعذوبة قائلا:

- سلام..

قبل أن يتعثر في السلمة المكسورة، بينما ظلت تضحك قبل أن تدخل إلى الشقة.

تعجب وهو يرى السلمة المكسورة، من بحق الله الذي كسرها؟!

طرق على باب الشقة.

- مين؟!

- محمد يا أمي.

لك أن تتخيل فرحة أمه، حتى أنها ظلت تسرع بعكازها ناحية الباب فسقطت على الأرض، ثم قامت بأسرع ما تستطيع هاتفة:

- ابني!

دخل وظلت تعانقه وتقبله حتى كادت تسقط من على عكازها. تعجب ولم يفهم سبب فعلها ذلك ولكنه انتظر حتى انتهت وقال:

- تعبان خالص يا أمي عايز أريح.

وبدأ يتجه ناحية غرفته بينما هتفت:

- مش هتحكيلي عملت إيه؟

- بعدين يا أمي، تعبان أوي والله.

- طيب يا حبيبي لما تصحى بإذن الله..

دخل إلى غرفته وارتمى على سريره بملابسه، يشعر بالكثير والكثير من التعب، العقلي والجسدي، آلمته رأسه حين ارتمى على سريره بهذا الشكل، ولكنه من التعب تحمل ولم يهتم، بدأ بعد دقائق يسقط في النوم، ولمح قبل أن ينام المكتوب على الحائط، ولكنه لم يستطع التركيز وسقط في النوم مباشرة.

***

سحاب كثير صعَّب الرؤية عليه، نور ساطع من مكان ما في الأفق..

- محماااااد!

صرخت وهي تسقط إلى أسفل.

- فريداااااااااا!

ظل يصرخ وهو يحاول الوصول إليها ولكنه لا يتحرك من مكانه.

استيقظ وهو يتعرق وقلبه ينبض بشدة، وضع يده على قلبه وبدأ يبكي وهو يقول:

- ا.. فـ.. فـ..

بدا التشوش على وجهه قبل أن ينسى تماما ما رأى.

- عاوز أفتكررررر!

صرخ وبدأ يضرب وجهه بيده. جلس في ضيق بضع دقائق ثم قام وغسل وجهه ورجع وجلس على سريره بينما لمح ما أمامه على الحائط، يبدو أن شيئا ما كان مكتوبا على الحائط وتم مسحه.

- حالته صعبة خالص والله يا ندى..

- هو فين الوقتي؟

- هو مع صاحبه اللي قلتلك عليه خده شاليه بتاع والده يصيفوا فيه يومين.

- لا شيلي الحاجات السوداوية اللي تجيب التعاسة دي والحاجات اللي كاتبها والكلام ده، خليه يرجع يلاقي جو مختلف عشان صحته النفسية تتحسن، سمعتهم بيقولوا كده.

- طب ما.. صعب شوية الـ..

- هو جاي امتا؟

- بعد يومين بإذن الله.

- أنا نازلة جيالك وهنعملها سوا.

دخلت الأم غرفته تنظر إلى ما صنعه قبل أن تصل صديقتها. بمجرد أن دخلت الغرفة شمت رائحة عفنة لا تعلم مصدرها، وكل شيء في حالة فوضى تامة. وعلى يمينها نظرت إلى الحائط الذي امتلأ بالكتابات.

"الحياة هي تعاسة أبدية لا مفر منها وألم يزداد مع مرور كل يوم".

"التعاسة مكتوبة على كل إنسان وإنما هو لم يلاقيها بعد ليس أكثر".

"سأموت في النهاية، فلماذا ليس الآن؟!".

"ماتت روحي..".

"بمجرد أن تخرج الروح من جسدي، سينتهي الألم".

أحيط كل ذلك بقطرات دم وعلامات غريبة. وضعت الأم يدها على فمها وكادت تبكي وهي ترى ما كتبه ابنها.

- الحـ.. مفـ.. يوم..

بدأ يحاول قراءة ما تم مسحه وتبقى منه القليل جدا يبدو أن إزالته تعسرت.

لم يفهم سبب مسحه وخاف أن يسأل فيكون شيئا قد قام بفعله ونسيه أثناء العملية، صار مرعوبا من فكرة أن تكتشف أمه ما فعل، فقرر أنه

سيتظاهر بمعرفة كل ما يبدو أنه من المفترض أن يعرفه، أما ملاحظة أمه عدم تعليقه على ما مسحَته ففهمته أنه موافقة منه على حذف الماضي والمضي قدما، ولا تعلم أن (حذف الماضي) هو ما فعله، ولكن.. بطريقة غير التي ظنتها هي تماما.

مرت عدة أيام جميلة هادئة هانئة بلا حزن سمعته أمه فيها يغني في غرفته ويلعب على جهازه بعد ما كانت تسمعه يصرخ في نومه.

جلس يتصفح بعض المواقع ولاحظ أن معرض الكتاب قد فتح أبوابه. يذكر جيدا أنه ذهب إليه عدة مرات، لا يذكر مع من ذهب ولكنه أراد أن يذهب وأراد أحدًا أن يذهب معه.

نشر قائلا:

"عايز أروح المعرض عشان المؤلفة (***) هتكون هناك النهاردة وانا لو مشفتهاش هقلعلكوا ملط هنا، مين جاي؟".

وعندما لم يرد أحد بدأ يقلب في أرقام أصدقائه ليقرر من الذي سيتصل به وسيرى إن كان متاحًا أم لا.

"مؤمن- أمل - محمود - علاء – خالد – مكة – ضياء..".

لكل منهم سبب يمنع من ذهابهم معه، وهناك بعضهم ممن لا يعرف من هم أصلا، كالمدعو (ضياء) هذا. بعض هؤلاء لابد أنهم أصدقاء قدامى، غير أنه يذكر أنه خطط للإتيان هنا مع أحد ما، وخططا كذلك البحث عن كتاب معين أعلنت مؤلفته نزوله في معرض الكتاب ذلك، ولكن تعسر عليه جدا تذكرمع من أراد الإتيان هنا.

نزع الفكرة من رأسه وعاد يتصفح، بعض المنشورات المضحكة وبعض الأخبار السياسية، ومروة قد نشرت منشورا تقول فيه أنها تشعر بملل قاتل وتتمنى لو تخرج ولو لآخر الشارع –على حسب تعبيرها-.

- عايزة تخرجي؟

أرسلها إليها في المحادثات الخاصة وأجابت:

- آه، اشمعنا؟

- تخرجي معايا؟

تسارع نبض قلبها قليلا وقالت:

- فعلا؟ فين؟!

- تروحي معرض الكتاب؟

- بجد؟! كنت هموت وأروح قبل ما يخلص ومفيش حد يروح معايا!

وهكذا وفي اليوم التالي ووسط شارع أحرقته حرارة الشمس نزلا من السيارة وهما ينظران إلى المعرض المبجل.

- حمد لله على السلامة.

ابتسمت وأخذ بيدها وهما يمران الطريق فشعرت بخجل شديد وتسارع نبض قلبها من جديد.

- كنت هنا تقريبا السنة اللي فاتت بس مش فاكر مع مين.

- آه كنت منزل صور ليك انت وصاحبك ضياء هنا.

سكت قليلا ثم رد بعدم فهم:

- آها..

دخلا إلى المعرض وسط الزحام. مئات الكتب، بل آلاف، ربما عشرات الآلاف! منظر بهيج، كمية من المعرفة يكفي واحد بالمائة منها أن يحولك إلى سقراط نفسه. مع كمية ضوضاء قاتلة.

- اللهم بارك.

- هاه عاوزة تتفرجي على إيه؟

- بص يا سيدي.

أخرجت من حقيبتها ورقة ملاحظات صغيرة وبدأت تقرأ وتقول:

- لازم نجيب (***) ولازم أشوف الكتاب بتاع (***) وهمووت همووت لو لقيته هنا بجد، وهروح أشوف..

بدأت تذكر عدة مؤلفين وعدة كتب بينما رد هو:

- تمام.. يلا.

كانت قد أخبرته بأماكن تلك الكتب وهؤلاء المؤلفين فوصلا إلى أكثر ما كانت متحمسة له أولا وهو كتاب مؤلفها المفضل، ذهب معها وعندما وصلا عند ركن الدار تركها تدخل وتبحث وذهب هو يبحث عن الكتاب الذي قالت مؤلفته أنها ستكون هناك لتوقيعه في ذلك

الوقت، بينما وقفت هي تصرخ لأنها وجدت المؤلف وبدأت تلتقط الصور معه.

ظل يبحث حتى وصل إلى ركن الدار وسأل الموجودين هناك عن المؤلفة وأخبروه أنها ستأتي بعد قليل.

وقف يقلب في الكتب حتى لمح فتاة تنتظر في نفس الركن تنظر إلى الكتب وإليه.

ملاك صغير بنظارات كبيرة مستديرة وبشرة بيضاء صافية، صغر حجمها أكد لطفها وبراءتها التي ارتسمت في ذهنه من وجهها، ومع كل ذلك محبة للقراءة، وتنتظر حتى مؤلفته المفضلة! فبدأت تتسلل إلى عقله.

أعجب بشكلها ولكنه لاحظ خجلها إذ أدارت وجهها بمجرد أن لمحها بل سارت مبتعدة عدة خطوات.

وقفت مروة تنظر إلى المؤلف كأنه الإله نفسه وهي تصرخ:

- أنا والله بص، قرأت كل كلل حاجة ليك.. لـ.. لحضرتك، وحببتني في الكتابة و.. وأصلا مكانش ليا في الرعب لحد ما..

وهو يرد مبتسما:

- يشرفني.. يشرفني يا مروة.. يشرفني.. يـ..

بدأ محمد يحاول اختطاف بعض النظرات ناحية تلك الفتاة حتى وصلت المؤلفة.

- أستاذة (***)!

بدأ الكل يتهافت إليها ومنهم تلك الفتاة، بينما نسي هو وجود المؤلفة وصار لا يبعد نظره عن الفتاة.

جلست المؤلفة وبدؤوا يتحدثون معها بينما قالت الفتاة بعض الأشياء للمؤلفة وبدأ يدخل نفسه في المحادثة بالطبع ليتكلم معها وبدا أنها ابتسمت مرتين على تعليقاته وهو يمزح وقد جعل المؤلفة تضحك كذلك.

بعد أن انتهى كلامهم ووقعت المؤلفة نسخ الكل وقفت الفتاة تكتب شيئا ما على أحد الطاولات، بينما ظل يراقبها، التفتت إليه فوجدته ينظر إليها ويبتسم فسارت نحوه بينما ارتعش قلبه.

مدت يدها فمد يده ليصافحها، لكن يدها كان بها شيء ما وضعته في يده. رحلت مسرعة بينما بدأ ينظر فيما تركته في يده فإذا هو ورقة عليها رقم هاتف.

رن هاتفه فرد.

- محمد!

- إيه يا مروة انتي فين؟

- مكان ما أنا، مشيت بعيد ولا إيه؟

- لا جايلك أهو.

أنهيا اليوم وركبا عائدين إلى منزلهما بينما لم تتوقف مروة عن الشكوى من مقدار التعب الذي تشعر به بينما قال هو بسخرية بينما تصعد إلى السيارة:

- يمكن مكنتيش هتتعبي أوي كده لو مقعدتيش تصرخي كل ما تشوفي مؤلف أو مؤلفة.

أزعجته أمها بمكالماتها لتطمئن عليها وهو يرد كل مرة بنفس الرد:

- متخافيش يا طنط والله كله تمام.

- طيب يبني ربنا يحفظكوا، ترجعوا بالسلامة.

***

سارت السيارة مسرعة كتسارع قلبه، يشعر أنه يريد السقوط في الحب.. ولم يجرب الحب من قبل، أو هكذا يظن، ربما يبدأ علاقة مع فتاة المعرض!

وصل إلى بيته وأوصل مروة إلى باب شقتها وصعد ودخل الشقة وكانت أمه نائمة. دخل إلى غرفته وأخرج الورقة من محفظته واتصل بالرقم. لم ترد فاتصل مرة أخرى كاليائس حتى أجابت:

- احم.. يا أهلا..

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

- ازيك.. أنا اللي قابلتك في المعرض.

ظلت صامتة ولم يبد أنها اهتمت فأكمل:

- انبسطت أوي لما لقيت حد زيك مهتم كده بـ(***) وعجبتني دماغك أوي وطريقة كلامك وكده.

ظل ينتظر ردا قبل أن يسمع صوت إنهاء المكالمة.

إما أنها خجولة أكثر من اللازم أو أنها حقيرة لعينة قليلة الأدب!

تجاهل ما حدث وشعر ببعض الخجل والإهانة والكثير من الغضب. ألقى الهاتف على مكتبه وبدأ يغير ملابسه وعلى وجهه تعبير الذي سيلكمك إن ألقيت عليه التحية.

كانت مروة في غرفتها قد ارتمت على سريرها تنظر للسقف مبتسمة وهي تذكر كيف كان معها وكيف كلمها، وكيف أمسك بيدها. وضعت كفها على وجهها وقبلته، مرة لأن محمد أمسك به ومرة لأنها صافحت به المؤلف (***) الذي أغير منه شخصيا.

جلس محمد يشاهد فيلما أراد مشاهدته عند نزوله في السينما ولكن لم تتح له الفرصة.

"لابد أن أقتل كل من شارك ضد الروبوتات! أيها البشر الملاعين!".

قبل أن تقطع عليه مشاهدته رنة الهاتف.

- السلام عليكم؟

- أهلا..

- مين معايا؟

- أنا.. آسفة اني قفلت في وشك الصبح..

- آها.. مش فاهم بصراحة قفلتي ليه يعني بحاول اتعرف عليكي مش هغتصبك يعني!

- احم.. عموما آسفة.

- ولا يهمك..

ظل صامتا فقالت:

- أنا مريم..

- محمد.. محمد مروان.

ابتسمت ثم قالت:

- بتحب بقى (***).

- جدًا! بقرالها من زمان أصلا، واتعلمت حاجات في حياتي عموما منها، بتقول حاجات مفيدة كتير مش قصص وروايات بس، ده اللي بحبه فيها.

- آها..

ظلا يتكلمان قليلا في الكتب والمؤلفين ثم انتقلا إلى الأفلام وظلا يضحكان ويمزحان ولاحظا كم أنهما متشابهان ثم بدأت تتحدث عن الحب فذكر لها:

- أنا بقى مش زي ما بتقولي أنا حرفيًا عـ..

سكت مترددا فهتفت:

- هاه؟

- مـ.. مفيش.

- قول!

سكت قليلا من جديد ثم تنهد قائلًا:

- ده سر تمام؟

- والله عمري ما أقول لحد!

فحكى لها عن عمليته.

- انتي أول مخلوق يعرف عن الموضوع ده! أمي نفسها متعرفش!

سمع صوتها وهي تقول بخوف:

- ا.. انت مجنون..

- والله بجد..

- أنا مش عارفة بصراحة أصدقك، بس.. مش معقول.. طب ما..

- عملية عادي يا مريم.. ما الذاكرة في المخ فهي عملية في المخ.

- لا متحاولش تقولها على انها شيء عادي ده خيال علمي ده ولا إيه! مسح ذاكرة؟! انتوا مجانين؟!

بدأ يضحك بينما قالت:

- والحاجات دي مش فاكرها خالص؟!

- حاجات إيه؟

- اللي رحت تنساها..

- معرفش هي إيه أصلا!

وضعت يدها على فمها قائلة:

- ونسيت حـ.. انت..

تنهدت بينما قال:

- إيه؟

قالت:

- أنا مبسوطة اني قابلتك يا محمد.. بس كده..

ابتسم وهو يقول:

- وانا كمان.

***

أرسلت إليه مروة عدة رسائل في اليوم التالي لم يجب عليها إذ كان يلعب على الانترنت مع صديقته الجديدة مريم.

- يا بنتي الوحش بيجي من هنا يخربيتك رايحالو؟

غرقا في الضحك وهي تقول:

- مش عارفة ألععععب!

أكملت مروة قراءة الكتاب الرومانسي الذي تقرأه الذي يتحدث عن الحب وهي تتخيل محمد بعد أن نشرت منشورا يقول:

"بعد طول انتظار ربما يصل إليك ما كنت تتمنى.. لا تتعجل..".

مقتنعة أن علاقتها مع محمد ربما تبدأ بالتبلور، خاصة بعد البارحة وبعد أن رأت نظرات عينيه ناحيتها وإمساكه بيدها وطريقة كلامه معها، ذكَّرها تصرفه معها مؤخرا –بعد العودة من السفر- بعلاقتهما القديمة.

- ماما هتعرف.

- مش مهم! أنا بحبك! وممكن أقول لها كمان.

- محمد! مينفعش..

- هما يعني ميعرفوش يا مروة؟ احنا بنحب بعض من واحنا في إعدادي! ابتدائي يمكن!

- أيوة بس شايفينه لعب أطفال وبتاع، احنا قريب هنخش الجامعة يا محمد! هتعمل مشاكل على الفاضي..

- مروة.. أنا بحبك!

لفت نظرها وهي تقف في الشرفة صوت ضحكاته العالي.

- يا بنتي يلهواااي ابعدي عن الحفرة هههههههه.

- انتوا عيال لسه! بلاش الكلام العبيط ده! خلصي دراستك الأول.

بينما قالت له أمه:

- خلص بس الثانوية وخش الجامعة واشتغل ربنا يسهلها عليك يا ابني..

ولكنه بعد أن دخل الجامعة بفترة بدأ حبه لها يقل، حتى اختفى تماما. ثم قتلت تلك المدعوة (فريدة) عندها كل أمل في أن تكون معه. شعرت أنها سلبته منها وبقيت تبكي أياما وربما أسابيع.. ولكنه الآن انفصل عنها ويبدو أن مروة تصدرت المشهد من جديد، وعادت إلى مكانها في قلبه. كانت مروة تعلم جيدا عن علاقته بفريدة وحتى انفصالهما عرفته، كانت.. كانت تراقبهما ببراعة جاسوس سوفيتي..

***

جلس يتحدث مع مريم قبل ميعاد النوم وقد وضع أجندة مذكراته أمامه وهو يقول:

- كاتب الحاجات هنا بس مش عارف حابب اقراها ولا لأ..

- اشمعنا؟

- المفروض عامل عملية عشان أنساها يعني حاجات وحشة جدا، هحب افتكرها ليه؟

- عشان خاطري..

- يا مريم بس الـ..

- محمد..

- محمد..

- قلب محمد..

- غنيلي يلا.

- مش قادر يا فـ.. فـ.. فريـ..

- يبني!

- أ.. ا..

شعر بتشوش ثم أجاب:

- فكرتيني بحاجة، مش عارف هي إيه..

- يلا بس اقرا..

تنهد وهو يفتح الأجندة ويرى الصفحات المغطاة بالكتابة العشوائية وبعض الصفحات عليها رصاص قد غطى أغلبها ويبدو أنه قد استُخدم بعنف بالغ على الورق.

- حاسس يا مريم ان في حاجات وحشة أوي هنا.. عندي إحساس وحش أوي..

- يلا بالله اقرا أي حاجة عندي فضول.

وصل إلى صفحة مثنية عليها اسم تكرر حوالي سبعة عشر مرة.

- في صفحة مكتوب فيها أهو.

- هاه مكتوب إيه؟

- فـ.. فريـ.. فريدة!

- يا قلب فريدة!

- آي لاف يو.

- عارفة، إيه تاني؟

- وهتيجي معايا اسكندرية.

ضحكت وهي تضرب مقعد الكافيتيريا الذي يجلس عليه وقالت:

- اتلم بقا! مبسافرش مع ولاد أنا!

- نجيب معانا واحدة صاحبتك.

- صاحبتي لا ..

- أومال نجيب مين؟

- نجيب محفوظ.

- محفوظ مـ..

ابتسم وأمسك بأذنها وهو يقول:

- كفاية خفة، كفاية هتموتي نفسك من السكر ده.

بينما انهالت في الضحك وهي تقول:

- اوعى يا أخي الحقوني يخواناا.

"ده أنا خاصمت الشوارع اللي مشينا فيها عشان يـ..".

أخرجته الأغنية التي بدأها شخص ما أسفل بيته من شروده.

- مريم أنا.. عمال أفتكر حاجات وأنساها في نفس الوقت! هتجنن وأتمسك بذكرى!

زفرت بملل وقالت:

- يا عم اقرا بقى وخلصنا انت هتذلني؟

بدأ يقرأ بعض المكتوب على الصفحة:

- عمري ما أذيتك يا زبالة.. ليه تعملي فيا كده..

- نعم؟!

- بقرأ!

- آه..

- عطيتك حياتي ونهتيها.. عطيتك قلبي و..

- كسرتيه.. ليه يا فريدة؟ ليه؟ ليه يا أحلى حاجة حصلت في حياتي..

نزلت دموعه على الورق فترك القلم وأسند رأسه على يديه وبدأت بعض الدموع تتسلل إلى عينيه ثم قام وبدأ يضرب الحائط الذي أمامه بيديه وهو يصرخ ويبكي بانهيار تام بينما انهارت أمه هي الأخرى وهي تسمعه من غرفتها.

- مريم أنا.. عمالة تجيلي ذكريات سوداوية وانا بقرأ، فاكر صريخ وعياط! مش فاكر غير ان في صريخ وعياط مش عارف بتاع مين! بصي أنا..

أغلق الأجندة ووضعها في الصندوق الصغير الذي أخرجه من تحت سريره وهو يكمل:

- أنا مش عاوز أبوظ عقلي زيادة.. اللي فات مات..

***

توقفت السيارات ونزل منها الناس يجرون ناحية تلك السيارة التي كادت تنقلب.

جلست فريدة ممسكة بقلبها بينما ظلت الأم تبكي وجلس الأب وقد تخشبت يداه على مقود السيارة، بينما في سيارة مجاورة:

- شفت؟! ده كان هيخبطه خلاص كان فاضله نص سنتيمتر ويدمشلهم خالص!

اشتدت دقات قلوب الثلاثة، فريدة وأبويها وهم يعلمون أنهم كانوا على وشك عمل حادثة قد تقتلهم. أما سائق السيارة التي انحرفت عن الطريق فقد اصطدم بسيارة ضخمة خلفهم وفُتحت رأسه بينما اتصل الناس بالشرطة والإسعاف.

شاليه واسه فاخر دخله عادل الطوخي بأبهة مع ابنته وزوجته اللتان كاد يفقدهما. قالت فريدة بتعب:

- أنا هخش أريح جوه، أنا قلبي لسه بيدق جامد لحد دلوقتي.

أضافت الأم:

- أنا عمالة أدعي طول الطريق والله..

بينما جلس الأب على أحد الكراسي واضعا رأسه على كفيه وقد كاد يبكي..

***

صار سعيدا إذ وجد من يحبها، سيدخل قصة حب لأول مرة في حياته، ولكنه لا يعلم أيخبرها أنه بدأ يحبها أم لا.

- محمد..

رأى الرسالة فأجاب:

- قلب محمد..

- قلب محمد..

- أنا.. ا.. فـ..

جلس شاردًا في شيء ما حتى أفاق ورأى رسالة مريم وهي تقول:

- رحت فين؟!

لمح المحادثة فوجد أنها أرسلت ثمان رسائل ومرت عليه ست دقائق وهو شارد، ولكنه شعر أنها ثانية واحدة.

- معاكي..

- عمال تشوف الرسايل ومتردش!

- معلش بس التليفون علق..

- طيب إيه رأيك؟

- في إيه؟

- في اللي أنا كاتباه! جاي ولا لأ؟!

قرأ ما أرسلته وإذا بها تطلب منه الذهاب معها إلى مكان ما لتشتري بعض الأشياء.

وافق على الذهاب معها وذهب إلى هناك وظل ينظر إلى البضاعة وهو واقف أمام المتجر الذي أخبرته أن ينتظر أمامه.

- والجاكت ده بكام؟

- 560.

صعقه الرقم حتى أراد أن يسحب سؤاله، حتى وجد فتاة قادمة من بعيد، مريم؟ وجهها مألوف كثيرا، بنظاراتها الكبيرة وحقيبتها الغالية البنية، وفستانها الجميل الواسع وبشرتها الصافية وعيناها..

***

- مش هروح لمعالج نفسي أنا! مش مجنونة أنا.

- يا بنتي وهو مين قال بس المعالج النفسي بتاع المجانين؟! ده بيعالجك نفسيا، زي ما في الاسم، بيعرف مشاكلك النفسية ويساعدك فيها وكده، يبقى عندك قوة نفسية وصحة نفسية بدل الحالة اللي انت فيها دي.

تجاهلته ودخلت إلى غرفتها في الشاليه وهو يردد:

- انتي عاجبك حالك يعني يا فريدة كده؟!

جلست تبكي في غرفتها وقد أغلقت الباب بينما دخلت أمها وصرخت فريدة:

- اطلعي برا! مش عاوزة حد!

فأرادت الأم العودة ولكنها أكملت وجلست بجانبها على السرير.

- فوفا..

- لا مش عاوزة شكرا..

- فاكرة الفيلم اللي كنا بنشوفه اللي البنت قعدت تحكي للدكتور النفسي وفي آخر الفيلم كانت عاملة ازاي؟ هي زي كده.

- مش فاكرة لأ.

- الأجنبي بتاع البنت أم شعر أزرق دي اللي كانت كارهة حياتها وبتاع.

- أيوة.. فاكراه.

- طيب يا حبيبي ما ده معالج نفسي..

وبدأت تضحك وهي تقول:

- مش هيلفوكي في بتاعة بيضاء ويحطوكي في العباسية يعني مش ده خالص.

لاحظت ابتسام فريدة فقالت:

- وهبقى معاكي، مش هنخلي عادل يجي.

سكتت قليلا فحضنتها أمها وقالت:

- أنا معاكي يا حبيبي لحد ما تبقي زي الفل وأحسن من الأول.

عيادة واسعة نظيفة جلس فيها معالج نفسي أمام مكتب كبير نظيف وخلفه عدة نوافذ أدخلت الشمس تدفئ كل ما في عيادته، وعلى السلم صدرت أصوات خطوات شخصين.

دخلتا وكان قد ذهب يستقبلهما بنفسه، سلم عليهما وقال لفريدة:

- انتي بقى فريدة هانم اللي عاملة مشاكل؟!

- يا فريدة هانم.

- مبحبش الكلمة دي..

قال وهو يبتسم:

- بلاش منها خاالص.

أجلسهما بينما قال لها:

- أنا ووالدك اصحاب من واحنا عيال صغيرين، فانتوا ناس مميزة عندي جدًا! وانتي يا فريدة، حد مميز بالنسبة لي جدا من دلوقتي.

***

وصلت مريم إليه وهو يقف أمام المتجر وسلمت عليه ثم قالت:

- تعالى هشتري حاجة من الدور الثالث، في محل بروحه فيه.

- طب ومقلتليش استناكي عنده ليه!

- عشان عايزة أطلع معاك انت أصلا واحشـ.. احم، بص السلالم دي شيك ازاي!

***

قال المعالج بصوت هادئ:

- بصي احنا بقالنا بتاع ساعة ونص وأنا هقولك تعملي إيه بناء على اللي فهمته منك، ممكن نطلب من ماما بس تستنى في الريسبشن؟

قامت الأم هاتفة:

- طبعا طبعا حاضر.

وخرجت وهي تقول:

- خدوا راحتكو.

- بصي يا حبيبي، الفترة دي نعتبرها ماتت تمام؟ مش اللي حصل فيها بس شعورك ناحيتها، وردود فعلك على الأزمات اللي مشينا فيها، انتي خرجتي منها المفروض أقوى ألف مرة مما كنتي صح؟

- صح..

- لأن خلاص خايفة من إيه؟ كسرة قلب؟ خلاص جربتيها وبقى عندك شوية مناعة، فراق؟ على أد ما هو مؤلم أنا عارف بس أي حاجة في الحياة يا فريدة كل ما بنتعرض لها أكتر كل ما بنكسب مناعة ناحيتها.

ابتسمت بينما أكمل:

- ممكن تفضل توجع، لكن زي أول مرة؟

- لا..

- شاطرة صح فعلا، فانتي خايفة من إيه دلوقتي؟ خلاص الوقت الصعب عدينا عليه.

- ابتسمت وهي تقول:

- تمام..

- واللي جاي فترة تانية.

- تمام..

- فترة كل حاجة مختلفة فيها، طريقة بابا وماما، طريقة تفكيرك، تعاملك مع الأمور، طريقة تعاملك مع الناس حتى، عقليتنا، وحتى شكلك.

- شكلي؟!

- أيوة، غيري شكلك كمان عشان تدي إشارة لنفسك انك حد تاني، حد جديد!

- يعني.. أعمل إيه؟

- اممم قصي شعرك، استايل لبسك، أي حاجة.

فكرت قليلا ثم قالت:

- والله.. حلوة الفكرة، تغيير من جوه وبرا يعني.

ضحكت بينما أجاب:

- صح يا فريدة.

في ذلك اليوم عندما عادت إلى الشاليه طلبت من أمها –التي أخبرها المعالج أن تطاوعها في كل ما تطلب- أن تأخذها إلى صالون تجميل.

غيرت شكلها تزامنا مع تغير نفسيتها التي ظل المعالج يصلح بها يوما بعد يوم وهي تذهب إليه بشكل يومي وتتصل به كلما واجهها أمر صعب أو كلما شعرت بشعور غير مرغوب فيه. قصت شعرها وارتدت نظارة بلا عدسات وبدأت تغير طريقة ملابسها فبدأت ترتدي الفساتين فقط.

(7)

- حضرتك بدؤوا فعلا التجارب في فروع المعمل!

ترك القلم يسقط من يده على مكتبه ونظر إليه صعقا وقال:

- ازاي! أنا رفضت إجراء العملية دي على البشر! هما بيعاندوا معانا؟!

- وصلني يا افندم انهم جربوا على الحيوانات و..

- ما قلنا يجربوا على الزفت بس لحد ما يوصل قرار بإجراءها على البشر! مين اداهم موافقة؟!

- أبقوها سرية يا افندم بس وصلنا الخبر من حد جوه.

رفع سماعة الهاتف بينما أشار إليه أن يخرج وسمعه الموظف بعد أن خرج من المكتب يصرخ:

- اتصل لي بأستاذ (***) فورًا!

***

وقف بداخل متجر الملابس الصغير بينما دخلت تجرب الفستان الذي أرادت شراءه.

ظل ينظر إلى الملابس وأسعارها الخيالية، قبل أن يسمعها:

- إيه رأيك؟

وجدها قد خرجت ووقفت أمامه بالفستان بالغ الجمال.

- و.. واو.. تحفة عليكي!

ابتسمت وهي تقول:

- تسلملي..

- تسلملي يا حبيبي.

- وميحرمنيش منك.

- أبطل يعني ألبس العدسات دي؟

- أيوة حبيبي عينك زي القمر من غير حاجة.

- محمد أ.. ا.. كـ..

- فـ.. عـ..

- فـ.. فريـ.. ا.. ا.. ا..

التفت صاحب المتجر إلى التي صرخت بينما سقط محمد أمامها على الأرض فاقدًا وعيه وقد تشتت واتسعت عيناه وشرد وبدا كأنه تمت كهربته أو شيء ما أفقده السيطرة على جهازه العصبي فسقط كالميت.

سقط على مؤخرة رأسه بقوة حتى أنها ارتدت عن القاعدة الحديدية التي سقطت عليها.

- محمد!

***

طرقات مستشفى (***) الواسعة، الممرضات يتحركن هنا وهناك وسط أصوات الأطباء والزوار، ينطلق بين كل ذلك سرير وسط الرواق مسرعا تدفعه ممرضة كبيرة الجسم، وعليه صديق عمري، محمد، يحاول بصعوبة فتح عينيه بينما بالكاد يرى أنوار السقف تمر أمامه مسرعة كلحظات من حياته، ويردد لسانه شيئًا ما، إذا ركزت ستجد أنه يردد اسم حبيبته، التي لو استطاع لأعطاها عمره وروحه وكل ما له..

- فـ.. فر.. فريـ..

قبل أن يفقد وعيه من جديد.

- ماله ده؟

- حصل له ارتجاج، فاقد وعيه من حوالي نص ساعة.

- طيب دخلوه هنا.

***

ظلت أمه تتصل على هاتفه للاطمئنان عليه حتى ردت فتاة.

- أيوة يا طنط.

- مـ.. فين محمد؟

- امم.. حضرتك محمد بس سقط على راسه وأغمى عليه.. و..

- إيه؟! فين! ابني!

- احنا في مستشفى (***)..

- إيه اللي حصل لابني؟!

- أغمى عليه بس يا أمي.. هيبقى كويس بإذن الله.. الدكتور قال ارتجاج خفيف.

- ارتـ..

بدأت الدنيا تظلم حولها، بشكل حرفي، حتى سقطت على الأرض غير مدركة لما حولها.

***

بدأ يفتح عينيه ببطئ بينما أزعج عينيه ضوء سقف غرفة المستشفى.

قامت فريدة من على الكرسي وهرعت ناحيته هاتفة:

- محمد! انت كويس؟

نظر ناحيتها بعين شبه مفتوحة وهو يحاول التركيز قائلًا:

- فـ.. فريدة؟!

اتسعت عيناها وابتلعت ريقها وقالت:

- انت.. فاكـ..

لم تكمل إذ ظل ينظر إليها قبل أن يسمع صفيرًا خفيفا في أذنيه ظهر أثره على وجهه. ظل يشتد الصفير حتى بدأ يؤلم رأسه، ثم تضاعف عشرة أضعاف فكاد يفتك بها، بدأ يصرخ وقد أمسك برأسه وقد انفتحت عيناه على آخرهما وجاءت الممرضات يجرين إلى غرفته بينما وقف الجميع ينظر إلى تلك الغرفة التي يصدر منها صراخ كصراخ الذي أُلقي في الزيت المغلي، بينما ظل الصفير يدمر عقله وبدأ جسده يرتعش وهو لا يتحمل الألم حتى فقد وعيه من شدته.

***

نادت مروة الجيران وكسروا باب شقة الأم هويدا عندما ظلت تطرق الباب عليها لبعض الوقت وهي تعلم أنها بالداخل وليست نائمة إذ أخبرتها أنها ستجلس معها اليوم. دخل الجيران وحاولوا مساعدتها حتى أفاقت.

- ابني..

بدأ الجيران يهدؤونها ويساعدونها على الجلوس:

- اهدي يا أم محمد حصل إيه بس..

- صلي على النبي يا أم محمد.

بينما ظلت تردد:

- ابني..

وهي تبكي.

***

مرت أربعون دقيقة تقريبا قبل أن يفيق من جديد وينظر ناحية يمينه وكانت جالسة وقد غرقت في دموعها. كانت الرؤية مشوشة فقال:

- ا.. انتي مين؟

قامت ناحيته وأمسكت بيده قائلة:

- أنا.. ا..

- مـ.. مريم؟

- أ.. أيوة يا محمد.. مريم..

ظلت تبكي بشدة على حالته وأرادت إخبار الطبيب عن العملية التي قام بها لكنها وعدته ألا تخبر أي مخلوق مهما حدث، فجلست بجانبه على السرير ممسكة بيده تبكي بعد أن قبلتها.

ظل ينظر حوله وشرد وهو ينظر إلى ضوء النافذة ويقول:

- شمس..

هتفت:

- إيه يا حبيبي؟

- شمس..

نظرت إلى حيث ينظر فوجدته شاردا في النافذة:

- أيوة يا حبيبي.. شمس..

بينما اشتد بكاؤها وهي تمسح بهدوء على رأسه.

***

اتصل الجيران بهاتفه وأجابت فريدة مطمئنة إياهم أنه بخير وطلبت منهم طمأنة أمه، أخبروا أمه أنه بخير لكنها ظلت تبكي وطلبت الكلام معه.

- ألو..

- أيوة يا محمد إيه يا حبيب ماما مالك؟!

- كـ.. كويس الحمـ..د لله.

- كويس يعني؟! دماغك كويسة يا حبيبي؟ قالوا..

بدأت تبكي أكثر وهي تقول:

- قالوا جالك ارتجاج يا حبيبي.

- آه..

رأته فريدة شاردا فأخذت منه الهاتف بينما قالت أمه:

- ومين اللي معاك دي يا محمد؟

- احم.. هو كويس يا أمي بس هو الدكتور قال بس ميتكلمش كتير..

- طب وانتي مين طيب يا حبيبتي؟

- أنا صاحبته يا أمي، مريم.

- أهلا يا بنتي، هو كان نازل معاكي؟

- آه.

- وإيه اللي خبطه كده؟!

- و.. وقع اتزحلق واحنا في مول..

- زحلقة تعمل فيه كده يا بنتي؟!

- والله يا أمي ده اللي حصل.. اتكعبل..

سكتت الأم قليلا وقالت:

- طيب هو هيجي امتا؟ اسألي الدكتور كده.

- هقول للدكتور حاضر وهرد عليكي.

- ماشي يا بنتي.. مع السلامة..

أغلقت الأم المكالمة وبدأت تبكي بينما جلست جارتها (أم مدحت) بجانبها تهدؤها.

***

أدركت فريدة أن ما يحدث إليه إنما يحدث بسببها وبسبب أنها حدث ضخم في حياته وعقله يحاول استدعاءها طوال الوقت وخصوصا عندما يراها أو يرى ما يذكره بها، فيحاول عقله استدعاء الذكرى التي كانت بها ولكن الخلايا التي تحاول استدعاءها في عقله قد أوقفت عن العمل، أدركت أنها سبب ما يحدث له، غير أنها سبب العملية من الأساس.

لهذا أخبرت الممرضة أنها سترحل وتوسلت إليها أن يشددوا الرعاية عليه، ثم رحلت.

***

فتح عينيه من نومه الخفيف وسط الإضاءة الخافتة القادمة من الرواق ليجد يد جارتهم تهز كتفه.

- محمد.. اصحى يا ابني طمن ماما..

جاءت أمه بعد أن أخبرتها فريدة مكانه بالضبط وجاءت بمساعدة جارتها على كرسيها المتحرك في سيارة أجرة.

- اصحى يا حبيب ماما.

اقتربت منه أمه بهدوء ومسحت على شعره قائلة بحزن:

- مالك يا حبيب ماما؟ حاسس بإيه؟

ظل ينظر إليها وهو يضيق عينيه ويقول:

- أنا مش شايفك..

صرخت أمه:

- إيه؟! مالك يا حبيبي! ازاي بيقول مش شايف!

رد بضعف قائلا:

- شايف شايف.. وشك بس مـ.. منغبش.. علي النور.

أضاءت جارتهم أضواء الغرفة كلها فوضع يده على عينيه صارخا:

- لاااا اطفي!

أطفأت كل الأنوار وتركت نورا صغيرا خافتا. نظر إلى وجه أمه وقال:

- أنا.. كويس يا أمي..

قبل أن تتكلم أمه هتف وهو ينظر حوله:

- مـ.. مريم فين؟

- إيه يا حبيبي؟

- مـ.. مريم..

- آه.. صحبتك؟ مشيت، قالت وراها حاجات.

ظل يردد:

- مريم..

رددت جارتهم بصوت عالٍ:

- مشيت يا حبيبي، إيه عاوز منها حاجة؟

بدا عليه الحزن وهو يدير وجهه الناحية الأخرى ويقول:

- لا لا.. أنا تمام..

***

جلست في السيارة في الطريق إلى الكومباوند تمسك دموعها بكامل قوتها.

- عمرك ما هتبعدي عني صح؟

- مستحيل.

رددت في نفسها:

"غصب عني يا محمد.."، وهي تفكر في حل لما حصل.

وصلت بيتها وصعدت على السلالم تبكي حتى وصلت إلى الشقة ودخلت غرفتها مرتمية على السرير وقد أهلكها البكاء وهي تتخيل حبيب حياتها وما حصل له، بسببها هي!

- يا ريتك ما عرفتني يا محمد.. كنت هتبقى كويس زي ما طول عمرك كنت كويس من غيري..

لفت نظرها في شرودها الأغنية التي شغلها سائق السيارة:

"أنا بعدك مليش في الدنيا يا أول حب عاش قلبي معاه..".

شغرت بوغزة في قلبها وهي لا تزال تمسك دموعها.

"ناسيني ليه بتتعب قلبي وياك.. ده ميهونش أبدًا عليا انساك".

نزلت أول دمعة على وجنتها وهي تنظر خارج السيارة لئلا يظهر بكاؤها لأحد.

"واحشني حبيبي قل لي أنا أعمل إيه..".

بدأت تبكي بصوت غير قاصدة وبدا ذلك للسائق الذي سألها:

- مالك يا آنسة؟

"أنا بعدك مليش في الدنيا".

لم ترد بينما ظلت واضعة يدها على فمها تتظاهر أن كل شيء بخير، وعينها تحترق من البكاء، وقبلها قلبها وهو مصدر تلك النار.

"زمانه نسيك وعاش تفتكره ليه..".

***

مرت أربعة أو خمسة أيام حاول فيها التواصل مع مريم ولكن يبدو أنها قطعت كل سبيل للتواصل معه، و.. يذكر أنه تعرض لموقف يشبه هذا من قبل.. شخص ما تركه؟ ولكن.. مَن؟

عندما اتصل به ضياء أثناء تلك الخمسة أيام يطمئن عليه إذ عرف عن الاتجاج الذي حدث له وظهر له أنه لا يعرفه خمن أن هذا بسبب الارتجاج، اطمئن عليه وأخبره أنه صديق قديم ثم تركه للتعافي.

ليلة كئيبة ملأها السواد وأصوات الكلاب التي تعوي في المدينة، وغرفة تعيسة جلس فيها على جانب سريره يبكي.

"مش هشوفه تاني..".

لم يفهم سبب تركها له إذ استمتع بكل دقيقة معها. ثم شعر برغبة في كتابة شيء على الحائط، هنا حيث اكتفى عقله وحاول بيأس تذكر متى تكرر هذا الموقف، حبيبة أغرم بها، تركته، يبكي في غرفته، يريد كتابة شيء عنها على حائطه..

- فريدة!

كانت تلك آخر كلمة قالها قبل أن تتجمد ملامح وجهه وتتسع عيناه وترتخي أعصابه، ويتوقف عقله عن إرسال الإشارات لجسده، ويرتمي على أرضية غرفته ساقطًا على ظهره وعينيه مفتوحتان كالميت وبدأت قدمه ترتعش وعينه ترف منغلقة ومنفتحة في تشنج.

ظل مرتميا على أرضية غرفته بعين ترف وقد سال اللعاب من فمه بينما ظل جسده يرتعش وهو يشعر في نفس الوقت أن عقله على وشك الانفجار وتحطيم رأسه إلى أشلاء، قبل أن يفقد وعيه.

***

(8)

- ابني! محمد!

صرخت أمه إذ استيقظت وذهبت لتطلب منه النزول لشراء بعض الخبز في هذا الصباح الباكر فوجدته على أرضية غرفته ملقى كالميت.

ارتمت بجانبه على الأرض وبدأت تهزه وتحاول إيقاظه، بينما كان يحلم:

- هنعيش مع بعض يا فريدة..

- حاضر..

- متمشيش يا فريدة..

- حـ..

قبل أن ترد وجد الطبيب مايكل يقف أمامه ويبدو الشر على وجهه ثم ضربها ضربة ألقت بها بعيدا في الظلام ثم ألصق وجهه بوجه محمد الذي ارتعب وصرخ بصوت مرعب هائج:

- قووووووم!

استيقظ من نومه يصرخ ففزعت أمه ثم احتضنته بسرعة قائلة:

- انت كويس يا حبيبي.. سلامتك يا حبيبي..

بدأ يرتعش من جديد ولا يتكلم بينما ظلت تميل به بهدوء يمينا ويسارا وتهدؤه كالطفل وهي تردد:

- كل حاجة بخير يا حبيبي..

ثم بدأت تبكي وهي تردد:

- كله بخير.. اهدى يا حبيب ماما وقلبها.. كله بخير..

ظل يرتعش وهو يتذكر:

- محمد أنا علاجك!

- فريدة أنا.. أ.. أ.. أ..

زاد ارتعاش جسده بينما بدأ رأسه يصفر وبدأ يصدر أصوات تألم كالتي يصدرها شخص أخرس.

زاد تربيتها على رأسه تزامنا مع زيادة بكائها وانهيارها وهي تغني:

- نام يا حبيبي نام.. نام يا قرة عيني.. واحلم أجمل أحلام.. نام يا حبيبي..

انهارت في البكاء بينما رفع رأسه عن كتفها ونظر في عينيها ووجهه يرتعش ويتشنج بينما أمسكت بوجهه بكفيها بحنان وقالت:

- مالك يا روح قلب ماما؟ جرالك إيه يا نيني عيني؟!

بدأ يحاول الكلام.

- جـ.. جـ.. جـ..

ظل يتهته ويحاول الكلام وهو يتشنج ولم يستطع، مما زاد بكاءها، حتى قال أخيرًا:

- مـ.. ما.. ما.. ماما..

انهارت باكية وهي تضمه في حضنها بقوة، وهي لا تدري أيهما يحتاج العناق أكثر الآن..

***

ضابط ذو رتبة عالية وقف في المكتب مع عدة أطباء منهم كبيرهم الطبيب (***) وهو يشرح له أن كل شخص كانت له علاقة بهذه العملية لابد أن يخضع لأشد أنواع العقاب، ولقبها بـ(العملية الإجرامية).

- ده إجراء تجارب دماغية في غاية الخطورة على بشر سذج ملهمش ذنب!

- أغلبهم حصل له تلف في الدماغ واللي محصلوش حالته ترثى لها! دول دمروا حياة الناس دي تماما!

- حضرتك عارف في كام قضية مرفوعة عليهم من ساعة ما الموضوع اتعرف؟ لأ والهُبل اللي على الانترنت فرحانين وكله بيقول يا ريتني كنت مكان اللي عملوها وانسى وانسى، انت كنت هتنسى اسمك يا حمار انت وهو!

- عيال عبيطة مش عارفين حجم الموضوع يا أفندم، عمالين بس يهاجموا السلطات ويعملوا هاشتاجات وتخلف ومش تخلف، يا ابني دي غير آمنة!

- أنا بقيت هتجنن بردو والله وانا بقرأ وكله بيهاجم وعاوزين المعمل يخرج منها.

- أنا وصلني يا أفندم ان مرفوع حوالي أربعة وعشرين قضية على المعمل لحد دلوقتي.

- والقضايا هتكسب! حتى لو الناس موقعين على ورق المسؤولية التامة عن كل شيء، ما زال غير مصرح ليهم بعملية زي دي، بس هما لسبب ما خاطروا بكل حاجة ونشروا إعلانات كمان عن حاجة غير مصرح بها! متفهمش مدعومين من مين! دي تصرفات ناس مسنودة.

- ربنا يكون في عون الغلابة اللي اتضحك عليهم دول..

- ربنا معاهم بقى..

***

جلست الأم ومعها جارتها بجانبه وهو يهتز وقد أسند رأسه إلى الحائط الملاصق لسرير والدته وقد جلست عليه وجلست جارتها على الكرسي المجاور للسرير تنظر إليه بحزن.

- ابني لازم يطلع أحسن من العيال دي كلها.

- طبعا يا حبيبي طالما ابنك هيبقى شخص مميز جدا.

ابتسم وهو يقبل يدها.

- عشان منك يا حبيبي.

- احنا جامدين أصلا، تخيل المكس بيننا!

قالت ذلك بينما ابتسمت وهو ينظر إليها نظرة غير النظرة التي على وجهه الآن وهو على السرير، نظرة الضياع والشرود. لم تعلم أمه حتى أيستطيع سماعهما أم لا، هو لا يرد على أحد ولكنه يحرك عينيه فقط وربما يحرك وجهه قليلا ليجيب بـ(نعم) أو (لا) من وقت لآخر.

قامت جارتها ونزلت إلى شقتها وهي تبكي في طريقها إلى الباب، بينما عادت أمه وجلست أمامه وهو ينظر إليها بحزن وقد تكونت بعض الدموع في عينيه. ظلت تربت عليه تهدؤه حتى يأتي ميعاد نومه.

***

كانت مروة قد نشرت صورتهما عندما ذهبا إلى المعرض ويده حول رقبتها وهما يضحكان. وكانت قد (أشارت إليه) على حسابه في الصورة فظهرت الصورة على صفحته، التي عادت فريدة تراقبها الآن من جديد.

"ولماذا سترغب بي وهي معك؟! وقد أسَرَتك وأنا أموت".

ظلت تسمتع إلى تلك الأغنية الأجنبية وهي تبكي بعد أن رأت تلك الصورة بحوالي ساعة، وهي تذكر نفسها أنه ليس لها، ما حدث جعله ينساها.. إلى الأبد، ولو اقتربت منه ستدمر عقله بغير قصد.. محمد.. لا مزيد منه؟!

انهارت في البكاء داخلة في حالة اكتئاب أشد من سابقتها.

***

بدأت حالة محمد تتحسن قليلا بعد راحته حتى زاره ضياء في اليوم التالي بالترتيب مع والدته.

دخل الشقة واقترب من الغرفة التي يجلس بها محمد وهو قلق بينما ترشده الأم.

- من هنا يا حبيبي خش.

دخل وهو ينظر إليه بشفقة بينما كان محمد قد أسند رأسه إلى الحائط وينظر إليهم بحزن، لكن رؤية ضياء جعلته يخاف فجأة سائلا بصعوبة:

- مـ.. مين د.. ده يا.. يا مـ.. ماما.

اقترب منه ضياء وهو يضع يده على رأسه قائلا:

- أنا ضياء يا محمد.. صاحب عمرك يا صديقي..

ظل ينظر إليه بخوف وهو ويحاول تذكره.

- عاوز مني حاجة يا صاحبي؟

- لا لا.. أنا هقعد قدام الشاليه هنا شوية و..

ظل ينظر في ملامح وجهه وهي تبدو مألوفة.

- تعالى ناخد صورة عند الورد ده.

- يبني يلا عشان المحاضرة هتبدأ الدكتور مش هيدخلنا.

بدأ ينطق:

- ضـ.. ضياء..

- امسك إيدي يا محمد!

- سـ.. سبني يا ضياء.. سبني اموت..

ابتسم ضياء قبل أن تبدأ رأس محمد في الصفير ويتشنج وجهه وقد بدأ يظهر عليه التألم. وضع ضياء يده على رأس صديقه وهو يقول:

- مالك يا حبيبي بس سلامتك، كله بخير، كل شيء بخير اهدى.

- كل شيء بخير..

- بس يا فريدة عشان أرضي أهلك عاوز 100 سنة على مستواكم ده.

- يا سيدي اهدى بقى، أنا هتصرف وهيعرفوا اني بحبك وعاوزاك ومش هيمنعوني أكون سعيدة يعني.

تنهد وهو يقول:

- يا ريت الأمور بالسهولة دي يا فريدة..

أمسكت بكلتا يديه بقوة وهي تقول:

- محمد.. أنا هحارب الكون عشان نكون..

- أنا هـ.. حارب..

رد ضياء:

- أيوة حارب المرض والوجع يا صديقي، متستسلمش للآلام دي..

ثم تركه وقام طالبا من والدته الكلام معها خارج الغرفة ثم همس قائلا:

- ما لازم مستشفى يا أمي في حالته دي! حضرتك ازاي سايباه كده؟

- يا ابني المستشفى اللي كان فيها قعد يتوجع ويصرخ فيها ومعملولوش حاجة، وكان كويس هنا والله، لكن مرة واحدة بيقلب كده وتلاقيه انتكس، وانا مش عارفة إيه اللي في عقله ده أصلا!

دخل ضياء جالسا بجانبه على السرير وقد أمسك بيده وهو يردد:

- افتكرني يا صاحبي.. احنا كنا مع بعض في كلية (***)، أنا وانت..

ظل محمد ينظر إليه وشفتاه ترتعشان ولا يرد.

- طيب فاكر.. فاكر لما رحنا جنينة الحيوانات اللي بتحبها؟ وقعدنا نلعب كورة مع الأولاد؟ واتصورنا؟

اتسعت عينا محمد قليلا وشفتاه لا تزالان ترتعشان فخمن ضياء أنه يتذكر.

- والكورة فست في الآخر ورحت أنا وانت قعدنا في المسجد والشيخ قعد يهزر معانا، فاكر؟

شعر ضياء ببعض اليأس وهو ينظر إليه وهو لا يستجيب بتاتا، ووجهه متشنج وعيناه تنظران برعب غير مبرر.

***

- أيوة يا افندم أغلب اللي عملوها عقلهم اتدمر تماما أو اتدمر جزئيا، وفي واحد منهم وده أول تجربة فقد ذاكرته بالكامل ومش فاكر اسمه حتى ولا هو مين! وفضل يصرخ "أنا مش عارف مين أنا! أنا مين؟!"، وأهله بيرعوه رعاية خاصة في البيت مع طبيب بيجيلهم.

- تمام تمام.. خلاص هي العملية دي اتحظرت وكل المسؤولين عنها على وشك تلقي العقاب اللي تقرره المحكمة، متقلقش من حاجة.

***

رحل ضياء تاركا محمد مع أمه ترعاه ثم جاء في اليوم التالي من الصباح ليبقى معه يساعده.

- يا حبيبي لو وراك حاجة روح عادي.

- ازاي بس يا أمي وصاحبي في الحالة دي!

ابتسمت الأم وربتت على كتف ضياء وهي تقول:

- ربنا يا ابني يخليك لمامتك وباباك.

ابتسم لها وقد شعر بحزن في داخله لأن أمه تعامله باحتقار دائما وتصفه بالفشل وتسبه طوال الوقت، ووالده لا يعطيه ذرة حنان ولا يهتم إلا بالمال، وهو يتمنى الجو الأسري والحنان طوال حياته.

دخل على محمد في غرفته فوجده وقف يرتعش أمام سبورته الصغيرة ويكتب شيئا ما عليها.

اقترب منه ووجده منتبها جدا لما يكتب بيده المرتعشة وحاول بصعوبة قراءة خطه المتعرج بسبب ارتعاش يده فوجده:

"أ.. تـ.. أتمنـ.. أتمنى الـ.. موت..".

أبعد يده عن السبورة وأخذ منه القلم وأجلسه على السرير بينما حاول محمد مقاومته ولم يستطع بينما ظل ضياء يهدؤه.

- يا حبيبي روق بس واهدى، عايز نخرج؟

نظر إليه محمد وهو يرتعش بلا رد فأكمل ضياء:

- طب تحب نقعد نلعب حاجة؟ أو نغني زي ما كنا بنعمل سوا زمان؟

بدأت بعض الدموع تتكون في عيني محمد بينما مسح ضياء على شعره وبدأ محمد يفتح فمه ببطئ حتى صدرت منه أخيرا صرخة مدوية ببكاء جعلت قلب أمه يكاد يتوقف عن العمل.

***

ساءت حالة مروة النفسية وفقدت إيجابيتها وروحها المرحة وصارت مكتئبة سوداوية تنشر أشياء مثل:

" ما الغرض من هذه الحياة؟! عالم تعيس مليء بالآلام ولا شيء غير الآلام.. ".

مع صور سوداء عليها عبارات سوداوية أخشى ذكرها هنا خوفًا من أن تؤثر عليك أنت.

في الفترة التالية مع زيادة سوء حالة محمد حتى صار يتبول في مكانه ولا يعرف كيف يأكل أقنعها ضياء بأن يتصلوا بمصحة عقلية ليُعالج فيها بعد أن تم عرضه على أطباء نفسيين وأقروا بذلك.

***

(9)

هنا حيث تعرفتُ عليه، في مصحة (***) العقلية.

عندما وصل كان في غاية الرعب، وكان يبدو كل شيء جديدًا عليه، وظلت أمه تزوره كل أسبوع مرتين مع شاب عرفت فيما بعد أنه ضياء.

بدا عليه الخوف طوال الوقت خصوصا بعد رحيلهم مباشرة. هذا حين بدأت أجلس معه وأتعرف عليه.

- ازيك..

استدار ناحيتي برأسه الذي يرتعش بشكل شبه دائم ولم يرد وهو ينظر إلي بخوف، حتى أنه صرخ عندما قربت يدي منه لأسلم عليه، كان يبدو أن عقله قد انهار تماما وصار في حالة تكاد تصل لتصرف الحيوانات، لكن هذا لم يدم طويلا.

جربوا معه طرق كثيرة جدا للعلاج وحالته تلك كانت غير مسبوقة بالطبع، وتم إطلاع الأطباء المسؤولين عنه أنه أجريت عليه عملية (FKz-23) الممنوعة منذ فترة.

بعد فترة من العلاج النفسي والجسدي بدأ عقله يعود ببطئ لحالة شبه طبيعية.

كنت معه طوال هذه الفترة، نتكلم، أو (أنا) أتكلم، وهو في الغالب يسمع إذ كان الكلام مهمة في غاية الصعوبة على عقله المتهالك، حتى أنه كان يواجه مشاكل في المشي نفسه وكنت أساعده إذ بدأ يثق بي.

جلسنا في الباحة مرة في بداية فترة تحسنه بعد إفطارنا سوية وسألته وهو جالس بجانبي بشعره الأشعث وعينيه الميتتين وقد شرد في شيء ما :

- هتعمل إيه لو خرجت من هنا يا محمد.

- هـ.. هدور عليها تاني.. وهنرجع..

لم أفهم وقتها من يقصد ولم يرد إخباري، ولكني عرفت فيما بعد.

بدأت حالته تتحسن بشكل كبير جدا وملحوظ مع الوقت أذهلني وأذهل الأطباء أنفسهم، قالوا أنه محظوظ للغاية للنجاة من عملية في غاية الخطورة كتلك. أما العملية نفسها فقد تم حظرها تماما وحتى الكلام عنها صار ممنوعًا وتم الحكم على الطبيب مايكل بالحبس ومعه مساعده وكل من شارك في المسألة، وحتى (واسطته) التي اعتمد عليها لم تنفعه إذ قبضوا عليه وهو يحاربهم كالحيوانات المفترسة ويصرخ بأشياء مثل "أنا عبقري يا ملاعين! أنا عملت ثورة في عالم الطب!" وأشياء من هذا القبيل لم يهتموا به وهم ينفذون الأوامر الموجهة لهم.

مرت ثلاثة سنوات تقريبا أو شيئا كهذا قبل أن يصبح محمد شخصا شبه طبيعي، ولكنهم أصروا على إبقائه في المصحة مدة أطول للتأكد بشكل تام أنه صار بخير. كان هذا مقدار ضرر العملية التي أجراها، تمت في يوم وظل يتعافى منها بصعوبة لسنين.

ظلت أمه تزوره كل فترة ومعها طعام طبخته له وتجلس ناظرة إليه وهو يقترب تائها مرتديا ملابس المصحة، بينما تتمالك بكاؤها وتحدثه بشيء من البشاشة والإيجابية. في البداية كان يستمع وهو صامت، وأحيانا كانت تنزل من عينيه بضع دمعات وهو ينظر إليها ويرتعش جسده، حتى عاد يتكلم وصار يكلمها ويخبرها أنه خائف، وأنه لم يتصور أن يكون هذا مستقبله، ويعتذر إليها أنه خيب أملها فيه ودمر مستقبله والأحلام التي تمنت أن يصل إليها، وصار يعيش مع المجانين بدلا من رجال الأعمال، بينما تبكي هي وتعانقه وتخبره أن أملها به لم ولن يخيب أبدًا، ولو عاش مع الشياطين أنفسهم، وأنه سيعود إليها سالمًا يملأ عليها الشقة التي سمعتها أنا مرة تصفها بأنها صارت (حفرة مظلمة) بعد رحيله وهي تبكي فيها كل ليلة وحدها ولا تجده ليمسح دمعها كالسابق.

ظلت تزوره حتى قلت زياراتها بعدما أصيبت بجلطتين، ثم انقطعت زياراتها تماما قبل أن ترحل عن حياته وعن الحياة كلها في شتاء سنته الثالثة في المصحة، سمعت أن ذلك بسبب أن السرطان الذي أصابها منذ زمن قد عاد إليها وهذه المرة لم تنجُ وانتصر عليها وأخذ روحها، حتى جلسات الكيماوي وغيرها لم تفلح في شفائها. كانت في أيامها الأخيرة توصي كل مخلوق عليه وهي تبكي وتدعو الله أن يكون بخير بعدها وأن تراه في الجنة.

ظل صديقه ضياء يأتيه مرة كل أسبوع، ثم مرة كل شهر، ثم أقل من ذلك، حتى عرفت من محمد أنه تزوج وسافر إلى بلد أخرى، ومن حينها صار يتصل ويسأل عليه.

أما مروة، فظلت على حالتها السوداوية ولم تعد ترى في الحياة شيئا يستحق العيش، حتى أنها قالت أنها كرهت محمدًا وكرهت اليوم الذي

ولدت هي فيه كذلك، ثم في يوم.. لا أعرف كيف أقول ذلك.. دعنا نقل أنها لم تتحمل كل هذا.. تلك الفتاة البريئة الحزينة الحالمة، قد صفعتها الحياة بأشد قوتها.. فـ.. دعنا لا نتكلم عن الأمر، رحمها الله.. ونرجو أن يغفر لها فعلتها إن ماتت على دينه..

انتشر كتاب عن محمد كتبه أحد الأطباء المسؤولون عن حالته اسمه (***)، ولا يزال موجودا في المكتبات وعلى الإنترنت حتى وقت كتابتي هذه الكلمات، تأكدت من ذلك. كان الكتاب عن مواضيع طبية عديدة في الحقيقة، أغلبها رآها وعاينها الطبيب بنفسه في المصحة، وكان أشهر فصل -وأكبر فصل- هو الذي كتب فيه عن حالة محمد، أسماه (مقدرش عالنسيان)، أعجبني عنوان الفصل صراحة، فيه شيء من الإبداع، وتم ذكري كذلك في ذلك الفصل عدة مرات. عادت قصة محمد إلى الضوء حينها وتذكر الناس تلك العملية الرهيبة التي أثارت فضول الجميع وحماسهم حين عرفوا عنها لأول مرة، قبل أن تمنع الحكومة الكلام عن هذا الأمر في القنوات وعلى الإنترنت، لكن كتاب ذلك الطبيب كان مسموحا به لأنه لأهداف طبية.

مرت خمس سنوات كاملة تخللتها انتكاسات عندما يحاول محمد تذكر ذكرى أساسية من التي حاول نسيانها، أغلبها عند تذكر المدعوة فريدة، تلك الملعونة التي حطمت قلبه ثم عقله، عرفت فيما بعد أنها تزوجت قريبا لها اختارته أمها وأبوها، هؤلاء الملاعين الأوغاد كلاب الأموال.. عرفت كذلك أنها أنجبت ولدًا أسمته (محمد)، مع معارضة كبيرة من أهلها.

خرج صديقي بعد خمس سنوات وخرجت أنا بعده بشهرين تقريبا، وكلا لن أخبرك سبب وجودي في المصحة وما كنت أعاني منه فلا تحاول.

عندما خرجت استقبلني عند البوابة مبتسما حاملا علبة حلويات صغيرة وقال:

- معلش ده اللي قدرت أجيبه ههههه.

ابتسمت واحتضنته وقلت:

- كفاية وجودك هنا يا صاحبي.

قال وهو يعانقني:

- لما خرجت ملقتش حد.. قلت مش عاوزك تحس الإحساس ده.

ابتسمت ونظرت حولي ثم نظرت إليه وقلت:

- تصدق أنا محدش جالي بردو.

بدا عليه أنه على وشك البكاء وهو يقول:

- لو كانت أمي عايشة كانت زمانها جتلي هنا وقعدت تعيط وتحضنني وتقولي "أخيرا هتملا عليا الشقة تاني"..

ابتسمت بشفقة بينما أكمل وقد بدأ يبكي:

- وكانت هتاخدني البيت وتطبخلي أكلة بحبها عشان تفرحني وتقولي: "أكيد مكانش عندهم أكل زي ده هناك صح؟".. دلوقتي بايتة في قبرها لوحدها يا محمود...

احتضنته من جديد بينما عاد يبكي قبل أن يرن هاتفه، كان ذلك صديقه القديم ضياء.

- أيوة يا حبيبي خرجت النهاردة الحمد لله.

- أيوة انت قايلي يوم 23، إيه الأخبار؟!

- الحمد لله يا صديقي، انت إيه أخبارك انت ومراتك وابنك؟

- أهو الحمد لله، لسه كان في المستشفى امبارح وعنده مكروب وقعد يرجع وبتاع شلني.

- ألف سلامة عليه يا حبيبي، هما الأطفال كده الصغيرين.

بدأنا نمشي وهما يتحدثان ويضحك قليلا ويحزن قليلا بينما يتذكران بعض ذكرياتهما معًا، ووعده ضياء بالإتيان إلى مصر لرؤيته قريبًا. أنهيا كلامهما ثم رأيت محمد يمشي بجانبي شاردا بعد أن وضع الهاتف في جيبه.

- مالك؟

- بفتكر.. لما.. كنت بقولها هنعمل إيه مع عيالنا.. وبنتخيل شكلهم..

- هيبقوا حلوين زيك يا فوفا.

- زيك انت!

وضعت يدي على كتفه قائلا:

- خلاص بقى يا صديقي انسى الماضي اللعين ده..

ابتسم ونظر إلي قائلًا:

- ما ده اللي بحاول أعمله طول عمري يا صاحبي..

مر شهران بحثنا فيهما عن وظيفة وعمل كلانا عمال مخازن تابعة لمحلات كبرى، وكنا نعيش معا وندفع الإيجار سوية وندخر بعض المال. لم يكن وضعنا المادي على أفضل حل، تداينا كثيرا من الجيران وزملاء العمل، ما كان الله ينقذنا به إذ نظل ندعو كل يوم بعد صلاة الفجر أن تُحل أزماتنا هو أن تطلبه إحدى القنوات للقاء تليفزيوني للحديث عن عمليته وما جرى معه، كانت من أهم شروطه أن لا يذكر حبيبته ومسألة نسيانها، كان ذلك يجعل كثيرا من القنوات ترفض اللقاء مع احتياجنا الشديد للمال، وأظل أصرخ وأقول:

- يا محمد ده رزق ربنا بعته واحنا محتاجين يا ابن الحلال!

فيرد علي:

- احنا وعدنا بعض زمان محدش يتكلم عن التاني قدام الناس! علاقتنا محاطة بالخصوصية.

أي علاقة يا صديقي؟! المرأة تزوجت! كان يصيبني بالجنون! أما زلت تذكر كل ذلك؟! الذي قام بعملية لينسى! لكنه اقتنع في النهاية واشترط ألا يتم ذكرها بأي سوء، ولم يتحدث عنها إلا بالخير.

ظل وضعنا المادي بين صعود وهبوط حتى توفى والده، وورث منه محمد قدرا لا بأس به من المال حسَّن حياة كلينا. اشترى شقة صغيرة عاش كلانا فيها كالإخوة تماما، وبدأنا مشروعا ما زلت أديره حتى الآن أَفضِّل ألا أخبرك ماهيته حفاظا على خصوصية المكان، وارتفع مستوانا المعيشي كثيرًا بفضل الله.

في مرة تركني في العمل وأخبرني أنه ذاهب لمشوار لتسليم حقيبة ما لأحد معارفه، وافقتُ وأتممت عملي وعمله، ثم بعد ساعة تقريبا اكتشفت أنه نسي الحقيبة في مقر العمل، ولم يتصل حتى! اتصلت به وأخبرته أنه نسيها فقال:

- آه آه.. معلش يا محمود ممكن تجيبهالي؟

- انت فين؟

أخبرني بمكانه وهو مكان جميل هادئ على النيل. ذهبت إليه ووجدته جالسا على كرسي جاوره كرسي آخر وطاولة عليها كوبين من الشاي.

- اتفضل يا صديقي.

أعطيته الحقيبة ثم سألت:

- حد كان معاك ولا إيه؟

نظر إلي بشرود ثم قال:

- لا لا..

جلست على الكرسي الآخر وقلتُ:

- في كرسيين أهو وكوبايتين شاي..

نظر إلي مبتسما وهو يستمع إلى أغنية شغلها على هاتفه وقال:

- كانت بتيجي معايا هنا كتير، وبنطلب احنا الاتنين الشاي ونتكلم ونضحك ونغني و..

- يا محمد بقى يا أخي! يا أخي انسى خلاص الماضي راح!

لم يرد علي بينما ابتسم ابتسامة سخرية خفيفة وهو يدير وجهه ليكمل نظره إلى النيل وهو يتمتم مع الأغنية.

ظللت ساكتًا قبل أن أقول:

- وانت بتيجي هنا كتير تحط كرسيين ومشروبين عشان تستعيد جلستك معاها؟!

ظل يردد مع الأغنية وقد بدا عليه الحزن ولم يرد علي.

"أنا مقدرش أبعد ثانية، أنا بعدك مليش في الدنيا.. يا أول حب عاش قلبي معاه..".

لم تكن أول حب أعتقد لأنه أحب مروة قبلها، وبرغم أنه نسي قصة حبه مع مروة أثناء العملية إلا أنه تذكرها فيما بعد كما تذكر كل شيء حاول نسيانه، مثل صديقه ضياء الذي أراد نسيان موقف واحد بينهما فبالخطأ مسح عقله كل ما تعلق به. ظل يردد أمامي الأغنية اللعينة وقد شرد في غروب الشمس.

"تعالى ياللي نفسي في حضنك أرتاح.. ناسيني ليه بتتعب قلبي..".

توقف عن ترديدها والتفت إليَّ وبدا أنه على وشك البكاء وقال:

- محتاجتش عملية عشان تنساني يا محمود.. وانا عملت عملية ولسه منستهاش..

قبل أن يدير وجهه وينظر إلى غروب الشمس من جديد وهو يردد:

- أنا مقدرش أعيش مستني، ده مش بإيدي غصب عني، واحشني حبيبي قل لي أنا أعمل إيه..

كانت بعد خروجه تعيش في فلتها التي اشتراها لها زوجها الثري مع ابنها الصغير (محمد)، وقد علمت بخروجه إذ نشرت بعض الصحف ذلك، وخافت أن يزورها في بيتها لأنها تعلم جنونه، ربما يبحث عنها ويجدها، فانتقلت مع زوجها لبيتهم الآخر في مرسى مطروح، مدعية أن ذلك إنما لأنها وابنها يريدان الذهاب لمصيف. وعندما جلسَت مع ابنها مرة وكانت تشاهد التلفاز معه جاءت إعلانات فقامت لتنهي عملًا في المطبخ بينما سمعت ابنها من غرفة المعيشة يهتف:

- ماما ماما الراجل اللي مسح عقله!

وكان ذلك إعلان اللقاء الذي قام به محمد مع قناة ما. لم تنتبه حتى جاء ابنها يجري إلى المطبخ وهو يقول:

- برنامج الراجل اللي مسح عقله يا ماما ونسي الناس تعالي!

ذهبت لرؤية التلفاز حتى رأته، رأته وهو يقول:

- لحد النهاردة مش ناسي.. ولا عمري هفكر في غيرها.. وبشكرها على كل يوم حلو قضيناه سوا.. أيام مش هترجع..

قبل أن يقطعوا اللقطة ويكتبوا موعد إذاعة البرنامج. بدأت الدموع تتكون في عينيها قبل أن تنهار باكية ولحسن حظها زوجها لم يكن موجودا في البيت، كان ابنها يردد "ممكن نتفرج عليه يا ماما؟" قبل أن يلمحها تبكي فيعانقها قائلا: "ماما هو الراجل صعبان عليكي؟ هو صعبان عليا بردو..".

أذكر اليوم الذي عرف فيه أنها تزوجت ونحن في المصحة، كان من أسوأ أيام المصحة وأسودها، ظل يصرخ ويضرب وينهار ويهين كل من حوله، حتى أنا، وظل يردد "العهد يا فريدة!" حوالي ألفي مرة، بينما غطى صراخه على كل الأصوات وهو يحاول الصعود للسطح والانتحار وعمال المكان قد أمسكوه بعنف وحبسوه في غرفته.

بينما عرفت فيما بعد أنها كانت ترقص في فرحها ورأيت الصور في الحقيقة وهي تبتسم ابتسامات واسعة مع صديقاتها التي غطت وجوههن الألوان، نسيَت أنه هو من علمها كيف تحصل على أصدقاء أصلا.

"زمانه نسيك وعاش تفتكره ليه"، كانت جملة يكررها طوال الوقت، حتى أنه يحدث نفسه بها وهو يكلم نفسه آخر الليل في غرفة المعيشة، وأسمعه وأتظاهر بالنوم وأتركه على راحته. كان يقف في النافذة أحيانًا ينظر إلى القمر الذي اعتادا على النظر إليه والكلام معه وهذه عادة تعلمتها هي منه، سمعته مرة يقول وهو ينظر إليه:

- شفت يا سيدي؟ مش انت كنت شاهد؟!

وأعرف بعد ذلك أنها ذكرى بينهما.

جلسا على ذلك المكان على النيل وكانت ليلة حب وصفاء وظلا يشربان مشروباتهما بينما كانا يعدان بعضهما بألا يتخلى أحدهما عن الآخر أبدًا، حتى نظرت إلى القمر وقالت:

- والقمر اللي بتحب تكلمه أهو، باصص علينا وشاهد!

بينما نظر إليها هو وقال:

- والقمر ده بردو بحب أكلمه.

قبل أن تبتسم في خجل وتقول:

- كمل.. كمل مشروبك يا أخويا.

لم يتزوج محمد قط، وعندما كنت أنصحه بالزواج عدة مرات كان يردد نفس الكلمة "العهد". كان أحيانا يثير غيظي لكنه.. كان أفضل صديق يمكن للإنسان الحصول عليه..

لماذا حكيت لك قصته؟ الشهر قبل الفائت كانت الذكرى السابعة لموته.. مات منذ سبع سنوات على سريره. انقلبت الأخبار وقتها عند خبر موت (محمد مروان الحي)، الوحيد الذي نجى من (FKz-23) التي ما زالت حتى اليوم محرمة وممنوعة في كل دولة وكل مكان وبين كل الأطباء، ولكن الناس لم يتوقفوا أبدا عن الكلام عنها كعملية من أخطر عمليات التاريخ. مات صديقي..

كنت معه حينها وكان على سريره في غرفته ويبدو عليه التعب وأخبرته أن يرتاح لأنه قد أجهد نفسه في العمل، ظل يردد:

- أنا هموت يا محمود شكلي.. هموت الليلة دي..

ظللت أبتسم وأمسح على شعره.

- متفولش على نفسك يا حبيبي.. ده شوية تعب صغيرين.

ولكنه كان محقًّا وكنت مخطئًا كالعادة.. مات صديق عمري.. أقرب صديق وأطيب قلب.. أخي الذي لم تلده أمي بحق.. رحمة الله عليه..

ظل يردد قبل أن يموت:

- يا رب مروة تكون زوجتي في الجنة يا رب.. الله يرحمك يا مروة..

قبل أن ينهار في البكاء وأكبح أنا بكائي أمامه وأنا أتبسم وأتعذر للذهاب للغرفة الأخرى ثم أنهار باكيا أنا الآخر. وأذكر أنه قبل موته مباشرة وقبل أن ينطق الشهادتين ظل يتبسم وأنا ممسك بكفه ويقول:

- دلوقتي هنسى يا صاحبي أخيرا وهستريح..

قبل أن أفقده للأبد.

أردت الكتابة عنه منذ وقت طويل فقصته هي أكثر قصة مثيرة للاهتمام عرفتها في حياتي، وقد حدثت بالفعل، لكنه أمر في غاية الألم، الكتابة عن صديق حياتك الذي مات بعد حياة في قمة التعاسة كتلك عانى فيها أكثر مما عانى أغلب أبناء جيله. تحدثت مع كل مخلوق حدَّثه في حياته لأجمع كل المعلومات اللازمة التي لم يخبرني هو عنها، حتى أني سألت ضياء صديقه عن كثير من الأحداث وأخبرني، ووضعت في هذا الكتاب ما احتجت وضعه.

حتى أن فريدة الطوخي وافقت أخيرا على الكلام عنه وهي كبيرة، بعدما رفضت الكلام عنه طوال حياتها. أخبرتني أنها بعد ذهابها إلى الطبيب النفسي في صغرهما عادت تراقب صفحة محمد ورأت منشوره الذي قال فيه أنه ذاهب ليرى المؤلفة الفلانية في معرض الكتاب الساعة كذا، فذهبت إلى هناك لتراه، وهكذا التقيا من جديد بتخطيط منها، ولكن جسدها كله تجمد عندما نظر إليها، توقعت أن يأتي ليتحدث معها وعندما لم يأتي ظنت أنه لم يعرفها بسبب تغيير شكلها والمكياج وغير ذلك، فأعطته رقمها الجديد لأن أمها ألقت رقمها

القديم عندما أخذت هاتفها في الماضي. وعندما تحدثا اندهشت أنه لم يعرفها من صوتها، وظلت تتصنع أنها فتاة أخرى لتعرف ماذا سيفعل وهل نسيها أم لا، قبل أن يصعقها خبر نسيانه لها، ولكن ليس بالشكل المعتاد بل بشكل حرفي.

لم تمانع بدأ علاقة جديدة معه من الصفر، كسر قلبها قليلا أنه نسي كل ما كان بينهما ولكن بعد الحالة التي كانت فيها ما عاد شيء يشكل فارقًا أو يؤثر، لم تكن حتى واثقة أنها تستطيع الشعور بالألم بعد الآن، حتى وجدت أن وجودها بالقرب منه سيدمر عقله بالكامل، فابتعدت، حفاظا عليه، ابتعدت وهي تجر خلفها أطنانا من الندم ستحملها في رقبتها طوال عمرها شاءت أم أبت.

بمعنى أن محمد لو لم يقم بالعملية لكانت عندما رأته وقتها تذكرها وأكملا سويا بعد أن أقنع الطبيب النفسي أهلها أن يتركوها تختار من تشاء حفاظا على صحتها النفسية، فكانت العملية التي قام بها هي التي دمرت كل شيء بحق..

أذكر أنه أخبرني أنه في كل عام في ميقات تركها له كان ينظر من نافذته ويتحدث مع القمر، ويردد كلمات مثل "العهد يا فريدة" و"واحشاني يا رفيقة عمري"، وأخبرني أنه كان يتوقع أن تأتي إليه، قبل أن يخلد إلى النوم كالخاسر مخذولا.

تكلمت وسجلت ودونت كثيرًا وأزعجتك، أرسلت كل شيء إلى كاتب ليرتب لي كلامي هذا ويهذبه لكي يكون بصورة أدبية مقبولة، إذ كلامي وكتابتي ليست بالمستوى على الإطلاق فأنا رجل بسيط، لم يأخذ مني مالًا وأخبرني أنه سيسعد بنشر قصة صديقي (محمد مروان)، فجزاه الله عني خيرا، إن كنت ميتا حين قراءتكم لهذه

الكلمات فادعوا لي ولصديقي محمد مروان بالرحمة، وإن كنتُ حيا، فسأتطلع لرؤية ما تظنونه عن صديقي.. لعل روحه.. ترقد بسلام للأبد..

لن تعرف أين كان محمد في فترة علاجه تحديدا، ولكني أعرف بالضبط. في تلك المصحة الكبيرة، عليك أن تقترب ببطئ من البوابة واعبر بسرعة قبل أن يغلق الحارس البوابة وراء السيارة التي دخلت تلك، اخفض رأسك، سنعبر ذلك الفناء المليء بالشجر حتى نصل إلى السلالم، اصعد معي إلى الطابق الثالث حيث بقينا أنا ومحمد. انظر إلى الطابق وانظر إلى اتساع رواقه! مكان عظيم حقا، يمكنني أن أقول أن أجمل سنين حياتي كانت هنا، مع أنها مصحة عقلية، هل ترى تلك الغرفة التي بجانب مدخلها مبرد مياه؟ تلك غرفته، اقترب منها ببطئ، اقترب أكثر، هل ترى سريره الآن؟ مرتب، لم يكن مرتبا أبدًا عندما كان هو هنا، كنت كثيرا ما أدخل عليه فأجده ممددا عليه ينظر إلى السقف، وأسأله "فيم تفكر؟"، والرد الذي كنت أتلقاه غالبا كان "ذكريات يا محمود" ثم يتنهد ويقول: "ذكريات..".

ستجد الجدران متسخة لكن كثيرا من ذلك ليس ترابا ولا طينا ولكن.. كتابات، يحب الكتابة على الجدران لسبب ما. هناك الكثير من الكتابات والجُمل، منها:

"ماضٍ ولن يعود"

"واحشاني يا أمي.."

"ربنا أعدنا.."

"مش هسيبك يا محمد؟"

"متكرهينيش يا أمي.."

"هحارب الكون عشان نكون؟"

"وحشتيني يا.."

ثم ستجد اسما ممسوحا هو (مريم) وقد كتب بدلًا منه:

"وحشتيني يا فريدة.."

"أنا آسف يا مروة.."

"هتبقى كويس يا محمد.. هتبقى كويس بإذن الله"

"ربنا يرحمك يا ماما.."

"أنا عايز أموت.. الليلة دي!"

ثم ستجد جملة كُتبت بخط كبير تتوسط الكتابات وهي:

"ليه يا فريدة؟ ليه؟".

***

خاتمة المؤلف

تلك القصة من أكثر القصص التي حطمت قلبي وداست عليه بكل قسوة وبكل شكل ممكن.. وشعرت بالقرب منها جدا لأن كل منا لديه جزء في حياته يشبه جزءا منها.. كل منا يعرف (فريدته) و(مروته) ولديه (محمد) في حياته، أو هو نفسه يشبهه، وأرجو أن لكل منا (ضياء). انكسر قلبي وأنا أكتب مرات عديدة وتوقفت، لكن كل ذلك يهون بإذن الله.

بالمناسبة، من أبسط متع الحياة أن أسمع ممن قرأ لي، فأسعدني برسالتك وسأحب أن أتكلم معك جدًّا وأعرف رأيك في كتابي هذا، وسأسعد إن ألقيتَ نظرة على بقية ما كتبتُ، لعلك ترضى. استمتعت بوقتي معك كثيرًا جدًا، وسعدت بتخصيصك وقتا للقراءة معي، يا له من شرف. كل الشكر والامتنان لك يا صديقي العزيز، وأرجو بحق أن أراك قريبًا على خير وفي أمان.

للتواصل مع المؤلف:

01121308794

01121308794

FKZ - 23

نسيان: جار التحميل..

كم مرة تمنيت نسيان أمر ما؟ أو شخص ما، وتمنيت لو كانت هناك طريقة لتحقيق ذلك؟ احذر مما تتمنى، ربما الطريقة ليست المشكلة، ولكن المشكلة هي عدم قدرتك على تقبل ما مضى، والمضي قدمًا.

مؤلف هذا الكتاب هو (محمد حسن عطعوط)، شاب من مواليد ربيع عام 1999، درس وتخرج من كلية دار العلوم في جامعة القاهرة، حاصل على ليسانس في علوم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، يعمل معلقا وقد كتب عدة روايات ولكن التي نشرها منها هي رواية (ديجافو)، وهي رواية (دراما - خيال علمي)، ويبدو أنها أعجبت أغلب من قرؤوها. وتعتبر (FKz - 23) هي ثاني رواية منشورة له.

كتابه الثاني بعد (ديجافو) كان (ERROR 404 - Mind not found) وهو كتاب أدب ساخر، وكانت أغلب الأراء فيه كذلك إيجابية جدًا بحمد الله.